
الأميرة
شعلوة
يونس غصن

بيان إثبات ملكية أدبية أقرّ أنا، يونس غصن، بأنني المؤلف والمالك الشرعي والوحيد لكامل الحقوق الأدبية والفكرية لروايتي الموسومة بـ "الأميرة شعلوة" وقد تم تسجيل هذا العمل الأدبي رسميًا في منصة SafeCreative العالمية المختصة بحماية الملكية الفكرية والحقوق الرقمية، تحت البيانات التالية رقم التسجيل: 2506132108303

تاريخ التسجيل: 2025-06-13

رابط التوثيق:

https://www.safecreative.org/work/2506132108303-
حالة العمل (Private)

ويعد هذا البيان بمثابة مستند إثبات ملكية موثّق بتاريخ التسجيل الرقمي المعتمد بتقنية التوقيع الزمني (Time-Stamp) وفقًا لقوانين حماية حقوق المؤلف والاتفاقيات الدولية المنظمة لذلك، خاصة اتفاقية برن لحماية المصنفات الأدبية والفنية. يُمنع منعًا باتًا أي نسخ أو اقتباس أو نشر أو توزيع أو تحويل أو استخدام لهذا العمل الأدبي أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق مني. حرر هذا البيان بتاريخ: 2025-06-13

اسم المؤلف: يونس غصن

captainghosson@gmail.com

الإهداء

إلى والدتي الحبيبة، وزوجتي الغالية، وأختي العزيزة التي كانت أول ناقد فني لي. وإلى شيوخي الأفاضل، ومربي الفاضل الذي فتح لي الباب قبل أن نفتح الكتاب. وإلى روح جدتي أول من أخبرني رواية..أهدي هذا الكتاب

يونس غصن

الساعة الثالثة صباحًا، وصوت المطر على شرفتي الواسعة يتساقط منذ يومين. يرتاح قليلاً في النهار لدقائق معدودة تكاد لا تُذكر، مما يعطي شعورًا بأنه انهمار مستمر. لا أعرف إذا كان إحساسي المتكرر بالضيق ناتجًا عن كرهي للشتاء، أم بسبب تغيير مكان عملي مؤخرًا! دعونا من أحاسيسي الخاصة التي تعودت على إخفائها عن الجميع، حتى عن أقرب الناس إليّ، خاصةً أمي، لكي لا أحملها أثقالًا أكثر مما تتحمل. فهي بالفعل تتشارك هموم ومشكلات إخوتي وأخواتي ووالدي أيضًا، ولا أبالغ إذا قلت إنها أصبحت مؤخرًا تتبنى هموم أحفادها. وهذا ما جعلني أبتلع ما في صدري وأبطنه قدر الإمكان، دون أن أظهر لها ما يعكر متعتها البسيطة التي تتمثل في كوب القهوة السوداء بجانب أبي أمام بيتهم الثاني الدكان، أو ما يُعرف بالبقال في لغة أهل الخليج، وفي الحانوت في لغة أهل المغرب العربي أسميته "بيتهم الثاني" للوقت الذي يقضونه داخل هذه الجدران الصغيرة. وكان لدي قناعة بأن من البر بأهلك ألا تجعلهم يحزنون لحزنك

الآن تسألون: من أنا؟ ماذا أريد؟ وما الموضوع؟ هل أنا بطل هذه الرواية؟ أو أحد أبطالها؟ وهل ما سأكتبه حدث فعلًا أم هو مجرد من وحي الخيال ولا يمت للواقع بصلة؟ لكن الغريب في الموضوع هو أنني سأغير أسماء الشخصيات فقط. وهذا تلميح على أن الأحداث التي سأرويها ربما تستند إلى قصة حقيقية، مع بعض الإضافات والخيالات التي أضفتها بنفسي. وربما ما حدث ليس إلا صناعة لعقلي الباطن فقط فمنذ نعومة أظافري وأنا أقرأ روايات الغموض، وأشاهد أفلام الرعب، وأتابع وثائقيات تحضير الأرواح. قرأت عددًا كبيرًا من الكتب عن الروحانيات وعوالم ما وراء الطبيعة وطرق التواصل مع العالم السفلي. ولشدة تركيزي واهتمامي بهذه المواضيع، لم أكن أشعر بمرور الوقت، خاصة أثناء مشاهدة أفلام الجن والشياطين، وأنا مفتوح الفم، وعيوني محنّجة، تتساقط منها دمعة بين الحين والآخر بسبب ذهولي مما أشاهد، خاصة مشاهد نطق الطلاسم وتحضير الشعائر في أفلام الرعب الهوليودية، وهي نوعية أفلامي المفضلة وبدلاً من أن تُمارس الرقابة من قِبل الأهل، كانوا هم من يلبون طلباتي الغريبة في هذا النوع من

الفن، كما أحب أن أسميه. ربما كان ذلك بسبب اعتقادهم أن الصبي الأول في العائلة يجب أن يكون "رجلًا" منذ الصغر، حتى لو كان مجرد ادعاء، وربما أيضًا كانت طريقة تفكير المحيطين بي قد فرضت عليهم أن يعاملوني كطفل "رجل" مبكرًا. أما الثمن الذي دفعته فكان سهرًا وأرقًا، وتبليل فراشي في الليل بسبب الخوف الذي شاهدته في النهار أما الإيجابية الوحيدة فكانت حصيلتي من المعلومات التي لا بأس بها عن الأمور الروحانية والغامضة وما وراء الطبيعة، والتي اكتسبتها في سن صغيرة ومن الأشياء التي أتذكرها جيدًا من طفولتي وأفتخر بها حتى الآن، رغم أنني لا أفهم السبب تمامًا، هو أنني كنت أول من استطاع القراءة بين أترابي في المدرسة. رغم أننا كنا في نفس الصف ونتلقى نفس الدروس، إلا أنني تمكنت من التفوق عليهم دائمًا بخطوة

أما الآن، وكما وعدتكم، لن أخبركم باسمي الحقيقي، لكن يمكنكم مناداتي "حوت". وما حدث لي ربما حدث مع غيري، ولكن بطريقة أقل غموضًا. سأعطيكم مثالًا: أغلبنا لديه ذكرى في حياته أو تعرض لموقف معين لم يستطع تفسيره، مما جعله يشعر بالخوف. ربما كان صوتًا

وأنت نائم وحدك في المنزل، أو اختفاء شيء ثم تجده في نفس المكان الذي فقدته فيه. ربما لمحت ظلًا أو شيئًا سريعًا، أو شعرت بضيق في أماكن أو غرف معينة دون غيرها، أو شعرت بقشعريرة غريبة، أو حتى كوابيس أشبه بالتهديدات أو الرسائل. والكثير غيرها من الأمور التي تثير تساؤلات كبيرة. ماذا حصل لي؟ أين؟ ومتى؟ ولماذا؟ وكيف؟ هذا ما ستكتشفه عند قراءتك للسطور القادمة، والحكم الأول والأخير لك أما نصيحتي في هذه الرحلة، ومن هذه اللحظة، أن لا تنسَ البسملة والتعوذ من الشيطان، فهما سلاحك للقادم. وعندما تعرف أداة المواجهة، لا شك أنك ستكون قد كونت فكرتك عمن سيكون عدوك

السطور القادمة قد تغير نظرتك، ليس للحياة فقط، بل نظرتك للممر المظلم المؤدي إلى غرفة نومك، وربما نظرتك لمدخل حمامك الخلاء أو حتى لزاوية غرفتك المظلمة. ستشعر بثقل على جانب السرير والكثير من الأمور المريبة التي سأتركها لك لتكتشفها بنفسك. لكن دعني أخبرك أولاً بأن هذه الأحداث بدأت في دولتي الحبيبة لبنان، في منطقة قريبة من العاصمة، بل في منطقة تسمى "بوابة العاصمة". وعلى

الرغم من قربها من بيروت، إلا أنها ما زالت تحتفظ بالكثير من المساحات الخضراء

وكما هو الحال في أغلب مناطق لبنان الساحلية، ورغم قربها من البحر فإن تلالها الخضراء تجعلها أشبه بجبل يليه منحدر، ثم شواطئ رملية. ويسكن هذه المنطقة بعض العشائر العربية الأقحاح التي هاجرت منذ مئات السنين من الأردن والعراق ومن شبه الجزيرة، واستقروا فيها حتى أصبحوا كأنهم قبيلة واحدة. واشتهروا بالعمل في التجارة ورعي الماعز والبقر والغنم، ولكن من دون الإبل لماذا من دون الإبل؟ لا أعرف صراحةً، ربما لارتباط الإبل بالصحراء، بعكس مناخ لبنان المعتدل المائل للبرودة، أو ربما لسهولة رعي الغنم والماعز عن الإبل وجيلًا بعد جيل، توارثوا عاداتهم وتقاليدهم جنبًا إلى جنب مع محاولة مواكبة المجتمع اللبناني وطريقة عيشه القريبة من المجتمع الأوروبي، مع الحفاظ على الهوية العربية، سواء من ناحية الملبس أو الثقافة. فنتج عن ذلك خليط بدوي مع لمسة حضرية أضافت لهم نوعًا من

الفخر وميزة عز جميلة ونادرة. وعلى إحدى تلال هذه المنطقة ذات التجمع السكاني المحدود، وفي عقدنا هذا، حدثت قصتي

الفصل الثاني – صيف

قبل آذان الفجر، وقبل صياح الديك، استيقظ "صيف" كالعادة من دون منبه. بعد شهور طويلة من الروتين اليومي، أصبح جسده قد طور منبهًا طبيعيًا يجعله في غنى عن أي شخص أو شيء لإيقاظه من نومه، فجأة قفز من سريره، اغتسل، ثم لبس البنطال الواسع مع الكنزة الصوفية المعتادة. ذهب إلى المطبخ ليجد رغيفين ملفوفين بطريقة عشوائية، لا يعرف ماذا يحتويان، لكنه ليس من الأشخاص الذين يعيبون الطعام. ثقته بأمه العجوز دائمًا في محلها؛ فطعامها شهي ودافئ، على الرغم من أنه تم تحضيره في الليلة السابقة. وقليلة هي الأطعمة التي لا يحبها، بل تكاد تنعدم أخذ الطعام دون أن ينظر داخله حتى، ثم فتح بيده الثانية حقيبة جرداء، لم يعد يستطيع تمييز لونها من كثرة تعرضها لحرارة الشمس ومطر الشتاء. أدخل الأرغفة في

الحقيبة، بجانبهم قنينة بلاستيكية كانت تحتوي على مشروب غازي سابقًا، ولكنها ممتلئة بالماء الآن. ثم وضع سكينًا بحجم قبضة اليد ذات مقبض عظمي، وأخيرًا، وليس آخرًا، وضع صديقه العزيز، رفيق دربه، وأنيس يومه في الحقيبة بعد أن أعطاه قبلة من رأسه. كان هذا الصديق هو المنجيرة أداة موسيقية تحتوي على حوالي 5 ثقوب موزعة بشكل طولي على قضيب من معدن الستيل المفرغ، يتم النفخ فيها مع وضع أصابع اليد، خاصة السبابة والوسطى، على الثقوب وتمريرها بشكل معين لتنتج نغمات موسيقية وألحانًا تذهل المستمع، أغلق الحقيبة ثم فتح باب المنزل الصدئ بصعوبة كالعادة ليجد جزمته السوداء تنتظره منذ البارحة، وبقايا روث الماعز المخلوط بالوحل والقليل من الحشائش الخضراء عالقة في أسفلها. نظر إليها نظرة معتادة تقول: "سأنظفك، ولكن ليس اليوم". لبس جزمته وانطلق نحو الساحة المقابلة للمنزل، التي تحتوي على حظيرة كبيرة يتوسطها مبنى حجري ضخم قديم، يكاد يوازي منزل "صيف" في ضخامته. يتألف المبنى من طابق واحد مربع الشكل، همَّ بالخروج وقبل أن يصل إلى مدخل الحظيرة، سمع صوتًا

يشبه الزمجرة المتقطعة قريبًا من قدمه اليمنى. التفت سريعًا نحو الصوت ليتفاجأ بكائن أسود ضخم ذي وبر طويل كثيف، وعلى رأسه الكبير خط أبيض يمتد إلى ظهره وصولًا إلى نهاية الذيل، صاح "صيف" فجأة بصوت مسموع: "صديقي شحبار!! كيف حالك اليوم؟" بدأ "شحبار" بالقفز والدوران حول "صيف"، كأنه يخبره كيف كانت ليلته، وكيف حافظ على سلامة الماعز من أبناء آوى وبعض الذئاب التي تأتي بين الحين والآخر. كان "صيف" مستمرًا في التقدم وهو ينظر إلى حركات كلبه المضحكة التي لا تتناسب مع حجمه الضخم. فهو لو استطاع الوقوف على قدميه لكان أطول من صيف بمرة ونصف. وعلى فم "صيف" ارتسمت ابتسامة صغيرة وما هي إلا بضع خطوات حتى أصبح أمام بوابة حديدية كبيرة، يخترقها من أطرافها سلسلة معدنية ضخمة تنتهي بقفل صغير يربط سلسلة أخرى خارجة من ثقب في جدار الحائط. أمسك "صيف" القفل وهز المفتاح ليحرر السلسلة ويفتح الباب، كاشفًا خلفه عن العشرات من الرؤوس السوداء ذات الأجسام الصغيرة والكبيرة والمتوسطة، وبعضها له ما يشبه اللحية أو

الذقن مع قرون نافرة ضعيفة شبه معقوفة خارجة من وسط الرأس وفي هذه الأثناء، كانت أشعة الشمس قد بدأت باختراق المكان لتعلن للقطيع الكبير من الماعز بأن حان وقت الحرية، بدأ القطيع بالخروج مهرولًا، وشحبار يقف متأهبًا خارج البوابة بانتظار أن يبتعد أحدهم عن الصف حتى يبدأ في النباح عليه كأنه يؤدبه. كان "صيف" يقف مقابل "شحبار" كأنهم يستقبلون وفودًا رفيعة المستوى من السياسيين "أهلا بالست دعويقة... سيدة عواطف، كيف حالك اليوم؟" "مدام عجوة، وبجانبها أختها فستق، أهلاً ست سهيلة" صديقتي أصيلة، كيف جرحك اليوم؟ أخبرتك أن تتوقفي عن العراك مع إبتسام ولكن دون جدوى وبعد خروج معظم القطيع والاطمئنان عليهم، بدأ "صيف" ينادي على كل رأس باسم مختلف، فالسيد "صيف" لديه اسم لكل رأس من القطيع، ويستطيع تمييز كل واحد عن الآخر. وهذه موهبة أخرى اكتسبها بسبب قضاء وقت طويل مع القطيع بعد أن خرج الجميع، لاحظ "صيف" أن هناك معزاة لم تخرج بعد. كانت هذه المعزاة مميزة عن جميع فهو يحفظ أسماءهم واختلافاتهم الصغيرة، ولكن هذه المعزاة تحديدًا كانت

مختلفة بشكل كبير، ليس في شكلها فقط، بل أيضًا في تصرفاتها وطريقة معيشتها لقد وجدها فجأة منخرطة في أحد الأيام وسط القطيع. وبعد البحث والسؤال الطويل في أنحاء الضيعة، لم يتمكن من معرفة صاحبها أو من أي قطيع ضائعة هي. فاضطر للاحتفاظ بها بعد أن سأل شيخ الضيعة وأخذ الإذن منه كانت المعزاة مميزة بشكل غريب. فقد كانت تعاني من قدم خلفية أقصر من الأخرى، ما جعله يعتقد أنها لن تستطيع العيش وحيدة. وإلى جانب قدمها، كانت إحدى أذنيها مقطوعة، وكان هناك بقعة واضحة من الجلد الخالي من الشعر في منتصف ظهرها، وكأنها تعرضت للحرق. بعض أسنانها كانت مفقودة، وحوافرها كانت كبيرة نسبيًا بالنسبة لحجمها الصغير. وكان الناظر إليها تارة يراها عجوزًا، وتارة أخرى تبدو صغيرة، فقد جعل فقدان بعض أسنانها من الصعب تحديد عمرها الحقيقي، صيف مخاطبًا نفسه نعم، إنها هي، شظية المفقودة التي لطالما أتعبته. فهي دائمًا تجد طريقة للهروب إلى مكانها المفضل، مقبرة القرية، لتأكل الأزهار والورود والريحان والجريد الذي يوضع على القبور من الزائرين بين

الحين والآخر. أو تجدها قرب مكب النفايات تأكل ما تجد أمامها، وكأنها على مائدة مفتوحة. أو تتسلق شجرة القرية الكبيرة، دخل "صيف" إلى داخل الحظيرة، ونظر بسرعة مع التفاتة يمنى تبعها يسرى ليتأكد مرة أخرى أن "شظية" ليست بالداخل. وبالفعل، كانت الحظيرة فارغة.

عادت آماله اليومية بأن هذه المرة هربت وقد لا تعود، وأصبحت عبئًا ومسؤولية قطيع آخر ومشكلة راعي غيره. أو ربما أصبحت وجبة طعام لأحد الذئاب أما سبب كرهه لها، فيعود لعدة أسباب، أهمها الأمور الغريبة المتكررة التي ترافق "شظية" وتجعل "صيف" يخشى منها ويشعر بالضيق عندما تكون مع القطيع، خاصة بعد الحادثة الأخيرة التي حدثت منذ حوالي الشهر وأصبحت حديث القرية فبعد ظهور عوارض الحمل على "شظية" وبالفعل، بعد مرور حوالي 150 يومًا، دخلت "شظية" في المخاض. وبعد ساعات من الألم والعذاب والثغاء العالي، خرج منها كائن ليس معروفًا إن كان جديًا أكثر منه طفلًا، أو هجينًا بين اثنين. كانت يديه بيضاء صغيرة، وقدميه حوافر، وعيونه مطموسة عمياء، وأنفه كان أنف طفل صغير مع وجه مليء بالشعر،

اجتمع جميع أهل القرية، الأطفال قبل الكبار، ومن شدة الصدمة لم يخرجوا هواتفهم لتصوير هذا الكائن العجيب. فعلى الرغم من ولادة الطفرات الجينية بين الحين والآخر مع تشوهات خلقية، إلا أن هذه هي المرة الأولى التي يولد فيها كائن غريب، خليط بين الإنسان والحيوان ولم يمر حتى ثوانٍ قليلة حتى بدأ الماء المخلوط بالدماء يخرج من فم هذا الكائن، لينتفض بعدها نفضة قوية تلتها رعشة في جسمه الصغير، ليكون أول نفس له هو الأخير ومع تسمر الحاضرين وتعابير الدهشة والخوف مرسومة على وجوههم من نتيجة الأحداث الحاصلة أمامهم، نسوا ذكر الله من شدة صدمتهم، ولم يتكلموا، واكتفوا بالنظر والتمعن في هذا الكائن. بعض النظرات كانت موجهة نحو "صيف" تحمل الكثير من التساؤلات المريبة، بينما كان "صيف" راكعًا على قدميه يحاول استيعاب ما حدث، ويداه وثيابه الملطخة بالبول والدماء إثر مساعدته "شظية" في الولادة، كان الكائن الصغير على الأرض بين قدمي "صيف" لا يتحرك، و"شظية" شبه نائمة من شدة التعب والمعاناة، ورأسها بين حوافرها الأمامية. وتحت جسدها، تجمعت بقعة من

السوائل المختلطة وفي خضم هذه الأحداث الغامضة والغير مفهومة، والوجوه التي بدت عليها علامات الضيق والتوتر من هول المنظر، كسر حاجز الصمت صوت جهوري قادم من الخلف ينادي بصوت واضح للجميع، أشبه بصراخ "استعيذوا بالله، استعيذوا بالله" خرج هذا الكلام من فم شيخ القرية، ليبدأ الناس بالكلام والتسبيح والتبرير. ثم تقدم الشيخ، وفي يده اليمنى عصا غليظة قديمة يستخدمها للإتكاء وليهش بها على غنمه. وقف فوق "شظية"، ورفع عصاه عاليًا بشكل متوازٍ مع رأسها، والناس ينظرون بدهشة وبنوع من التفهم عما سيحدث الآن وبسرعة خاطفة، ومن دون أن يرف له جفن، نزل بالعصا الغليظة باتجاه رأس "شظية"، التي في هذه الأثناء رفعت نظرها ناحية الشيخ لتضع عينها نصب عينه، كأنها بانتظار هذه اللحظة تفاجأ الجميع بتوقف العصا فجأة قبل صدغ "شظية" بسنتيمترات قليلة، كأن الشيخ أراد تخويفها وإرسال رسالة لها ليس أكثر، أو كأن قوى غريبة أوقفته، نظر "شظية" لم يحد عن عيون الشيخ، وهو بدوره يبادرها النظر بعيون لامعة يعلوها حواجب بيضاء عاقدة، وأثار الغضب كانت

ظاهرة عليه. استمر هذا الموقف، الأشبه بالتحدي، من يرمش أولًا يخسر لعدة ثوان، فجأة، ولأسباب مجهولة، تراجع الشيخ خطوتين إلى الوراء، مرخيًا قبضته قليلاً عن العصا، مع همهمة غير واضحة فهم منها بعض الكلمات "لكِ يوم يا ملعونة، لكِ يوم" أدار الشيخ ظهره ليبدأ بالكلام الموجه إلى "صيف" من دون أن ينظر إليه قائلاً أدفن هذا الشيء بعيدًا، ثم اغتسل ونظف نفسك للصلاة، فحان الآن موعد آذان العصر ثم وجه كلامه إلى الجموع مخاطبًا إياهم بحزم ليعد كل منكم إلى عمله، وخذوا أولادكم معكم بحق الله، تفرقوا. ماذا تنتظرون؟ وأتم كلامه بالسلام عليكم، ثم مضى ماشيا باتجاه مسجد القرية

الفصل الثالث - صيف ٢

بعد دخوله الحظيرة والتأكد من أن "شظية" غير موجودة، خرج "صيف" مع القطيع في رحلته اليومية. بدأ بالمشي بين القطيع الذي يترأسه تيس كبير في العمر والحجم، رأسه يوازي رأس عجل بالغ مع عينين جاحظتين، وعلى رقبته جرس كبير يصدر رنة مع كل خطوة. أما "شحبار"، فكان يتنقل تارةً في الميمنة وتارةً في الميسرة، وبين الحين والآخر يتنقل إلى الأمام والخلف بين القطيع بعد دقائق قليلة، وصلوا إلى المقبرة، ليبدأ "صيف" كالعادة بقراءة الفاتحة، رافقها نظرات عشوائية لسور المقبرة، باحثًا عن "شظية"، ولكن لم يجد ما يدل على أنها هناك. استمر "صيف" في المشي، بينما كان القطيع يرعى في نفس الوقت حتى بدأت الماعز بالتفرق. فقد وصلوا إلى أرض السعادة بالنسبة للماعز، فهذا المكان يجمع نفايات مشتركة لثلاث قرى تقريبًا، وتتراكم فيه الأكياس وبقايا الطعام بين الحين والآخر. ما يجعل الماعز، وكأنها فقدت عقلها، تبدأ في التفرق والبحث عن الطعام، هنا بدأت مشقة "شحبار" في إعادة الصفوف، و"صيف" يساعده بكلمات غريبة قد يفهمها من يرعى - "تعررك عررك" - "عس عس" - "تعيي

تعيي" يرافق هذه الكلمات رمي بعض الأحجار بطريقة لولبية لتصيب الأقدام دون الرأس. وبعد جهد وعناء، ورص الصفوف، أكمل صيف والقطيع رحلتهم شبه اليومية، مع علامات تعجل تعلو وجه "صيف" فهو كان يتوقع رؤية "شظية" عند جبل النفايات هل حدث ما كان يرجوه؟ هل أخيرًا ذهبت من دون عودة؟ هل سيرتاح من مسؤولية هذه المعزاة الغريبة من دون تأنيب ضمير، فهي من هربت بحوافرها، أكمل "صيف" مع القطيع رحلتهم التي شعر وكأنها نزهة جميلة ومختلفة هذا اليوم لعدم وجود "شظية" القبيحة معهم. حتى خلال عزفه على المنجيرة، كانت الألحان التي يخرجها تشعرك بعازف محترف يعزف على مسرح عالمي لشدة سعادته، انتهت الرحلة في وقتها المعتاد بعد العصر بقليل، ليعود القطيع إلى الحظيرة، و"صيف" يهرول مسرعًا بعد أن أقفل عليهم نحو مقهى القرية. فقد كان اليوم يومًا مميزًا، وسيحتفل به "صيف" بمناسبة هروب مصدر قلقه وإزعاجه. سيكافئ نفسه بالسهر في المقهى حتى وقت متأخر، وشرب النرجيلة، وصرف بعض الأموال أكثر من المعتاد بقليل، قاربت الساعة الحادية عشرة، وهو

وقت متأخر جدًا بالنسبة لموعد نوم "صيف" المعتاد. فالرعاة معروفون بنومهم المبكر واستيقاظهم الأبكر. نظر "صيف" إلى ساعة قديمة معلقة على حائط المقهى، فوجدها تشير إلى الحادية عشرة، وقف متصلبًا وهمَّ بالرحيل بعد أن دفع الحساب وترك إكرامية على غير العادة خرج يمشي وحيدًا نحو المنزل، فالسماء كانت صافية والقمر مكتمل، مما جعل الطريق واضحة المعالم. خلال سيره، كان يعقد أصابعه تارةً ويرخيها تارةً أخرى، يغمض عينًا ويفتح الأخرى في محاولة لحساب عدد التوصيات التي عليه أن يلبيها، وعدد الليترات التي يجب تحضيرها من الحليب. كان عليه أيضًا تجهيز مبلغ لشراء الشعير، فالحشائش من المرعى وحدها لا تكفي، بل يجب تمرير بعض وجبات الشعير مع قليل من الذرة المطحونة لزيادة إنتاج الحليب وأثناء سيره وانهماكه في الشؤون المالية، تذكر أنه المدير المالي، والمالك، والعامل، والمحاسب، والموزع، فهو شركة من شخص واحد وقبل اقترابه من بيته بقليل، مرَّ أمام المقبرة. فالطريق الذي يسلكه للمنزل يصادف وجود المقبرة قبل بيته. وإذا أراد أن يذهب من طريق الوادي،

سيكون عليه المرور ببعض الجرد والطرقات الوعرة، وهو ما يجعل الأمر خطرًا وصعبًا في هذا الوقت حتى بالنسبة لراعي مخضرم، بعد أن أصبح "صيف" مواجهًا لسور المقبرة، تذكر "شظية" وكيف كانت دائمًا تتسلق حائط المقبرة التفت لا شعوريًا باتجاه المقبرة، وهنا كانت المفاجأة. ليجد معزاة سوداء تقف على الحائط، رأسها باتجاهه كأنها كانت في انتظاره، نظر "صيف" إليها نظرة صدمة يخالطها رعب مع قليل من التعجب، مضافًا إليها استفهام. ثم تكلم مع نفسه قائلاً "نعم، هي! والله هي! إنها شظية" فعلى الرغم من الظلام، إلا أن ضوء القمر، واعتياد عينيه على الظلام خلال الطريق، ومروره بالقرب من الحائط، جعلته متأكدًا من الذي رآه. فما كان منه، وعلى غير عادته، إلا أن بدأ بالشتم ويصرخ قائلًا ماذا تفعلين هنا يا ابنة ؟ سوف ألعن يا ***كذا وكذا توجه لها بالشتائم حتى هو نفسه لم يعلم أنه يعرف هكذا شتائم من شدة غضبه. ليجدها فجأة قدماها رفعتهما، وأظهرت ابتسامة واضحة المعالم حتى في هذا الضوء الخافت. بل حتى أسنانها المفقودة بدت واضحة من وسع الابتسامة. بدأ قلب "صيف" يدق بسرعة،

وأصبح نفسه ضيقًا من هول ما يراه. وكثرة الأفكار التي كانت تتداخل في رأسه في وقت واحد جعلته يشعر وكأن عقله على وشك أن ينفجر.

وفي ثوان، ومن دون تفكير، ربما غريزته أو عقله اللاوعي كانا السبب، انحنى ليأخذ حجرًا يغطي كف يده في الحجم، ثم ألقاه وبشكل لولبي كالعادة، وبغضب ممزوج بكراهية نحو رأس شظية اصطدم الحجر بوجهها محدثًا صوتًا شبيهًا بالمطرقة عندما تخترق جدارًا. وفي نفس لحظة الاصطدام، سقطت "شظية" إلى داخل المقبرة، وقبل أن تصل إلى الأرض، بدأت رؤوس صغيرة الحجم تظهر، صلعاء مع أذنين طويلتين كأذني الحمار، وقرون صغيرة تتوسط الرأس. كان لها أنف كأنه مقطوع. بدأت تلك الكائنات الشيطانية، بالعشرات، بالقفز فوق السور، تجر خلفها ذيولها كالسياط، ولها أجساد ضخمة بأقدام ماعز وأيدٍ كأيدين حمار بدأت بالركض نحو "صيف" مع أصوات ضحك وقهقهات مخيفة صادرة منها. فما كان من "صيف"، ومن هول المنظر، إلا أن فقد القدرة على الوقوف. فقد خانته قدماه في أهم وقت في حياته، وأصبح عاجزًا عن الهرب لينجو، كان كالمشلول. بدأ

بالصراخ، ولكن دون جدوى، فصوته اختفى وكأن أوتار صوته قد قطعت، سقط على التراب والحصى بقوة، ما جعل الدم يخرج من شفتيه وأنفه، ليختلط الدم بالتراب. بدأ يزحف على يديه بوجه مدمى، ويجر جسمه لكي يبتعد عن تلك الكائنات الشيطانية قدر الإمكان. أنفاسه كانت ثقيلة وكأنها قاربت على الانتهاء. حاول إخراج صوت، لكن لم يستطع، كأن أحدهم جعل فمه في وضع الكتمان. حرك شفتيه دون جدوى زحف أمتار قليلة ليجد حافرًا كبيرًا أسود يقف أمامه، وحافرًا آخر ينزل على ظهره بقوة ليثبته ويمنعه من الحركة. حاول الزحف مرة أخرى، لكن لم يتزحزح إلا سنتيمترات قليلة. بدأ يستسلم للأمر الواقع. سيموت اليوم على الطريق وعلى يد شياطين. يا لها من موتة قبيحة ومرعبة، نظر للأعلى في حركة أخيرة، ليجد جسدًا باهت اللون ورأسًا صغيرًا بالنسبة لحجم الجسد. عروق سوداء نافرة من الوجه، وعيون تشبه عيون القط. اقترب هذا المخلوق للأسفل ليضع عيونه مقابل عيون صيف قائلًا له بصوت أشبه بالفحيح "سنأخذك معنا، يا راعي" وحوله تجمعت شياطين عدة، بنفس الشكل، ولكن بأحجام مختلفة. كانت تهز رؤوسها

يمينًا ويسارًا بسرعة، ثم توقفت فجأة ونظرت كلها نحو "صيف" الذي كان يتمتم بشق الأنفس بكلمات غير مسموعة ثم توقف عن الحركة، وخفض رأسه كالميت، من دون أي ردّة فعل. كانت الشياطين تقترب منه، وتمسك قدميه، وتبدأ في جذبه باتجاه المقبرة. كانت تغني بلغات غريبة، وتقفز من حوله، وتصدر ضحكات عالية خلفها كانت ذيولها تضرب الأرض ثم اختفى الجمع الشيطاني مع "صيف"، ليعم الأرجاء هدوء مخيف، يكسره بعض أصوات حفيف الأوراق بين النسمة والأخرى

الفصل الرابع ـ حوت

استفاق "حوت" من نومه وهو يصرخ، والعرق يتصبب من جبينه، رغم أن الطقس كان باردًا نسبيًا. لقد شاهد في نومه كابوسًا مرعبًا، وكان "صيف" ابن عمته موجودًا في هذا الكابوس، لكنه نسي تفاصيله فقط ما تبقى من هذا الحلم هو شعوره بالضيق عندما حاول تذكره.

وعلى الرغم من صلة القرابة بين "صيف" و"حوت"، وقرب المسافة بين بلدة "حوت" المجاورة للبحر وقرية "صيف" التي تقع خلف التل وتبعد مسافة ساعة مشيًا تقريبًا، إلا أن "حوت" لم ير "صيف" إلا في المناسبات القليلة مثل الأعراس والمآتم، وبعض الصدف النادرة التي صادف فيها مرور "حوت" قرب قطيع "صيف" أثناء رعيه، ليبادله السلام عن بُعد، طريقة حياة "حوت" وتعليمه جعلته يبتعد قليلاً عن التقرب من قرية "صيف"، ليس تكبرًا، ولكن ربما بسبب عدم انسجامه مع أسلوب حياة أهل قرية "صيف". فـ"حوت"، في نظر "صيف"، فلاح، والفلاح ليس مجرد من يحرث الأرض ويزرعها، بل هو من سكان المدن وفقًا للغة أهل قرية "صيف". حتى عندما كان "حوت" يلتقي بـ"صيف"، كان "صيف" يغير قليلاً من طريقة كلامه ليبدو أكثر

انفتاحًا ويكسر أواخر الحروف على الرغم من القرابة الدموية والجغرافية، كانت طريقة حياة كل منهما مختلفة تمامًا. وهذا ما جعل حوت يستغرب رؤيته لـ"صيف" في كابوسه. فهو لا يخطر على باله، ولا يفكر فيه حتى، فتح "حوت" هاتفه ليجد عدة مكالمات فائتة من والدته. حوت مخاطبًا نفسه ربما تتصل لتخبرني بأن أبي يريد استعارة سيارتي لشراء بعض الحاجات للدكان كالعادة، اغتسل ولبس ثيابه، ثم وضع عطره وكبشًا من القرنفل في فمه ليمضغه أثناء خروجه من المنزل. ركب سيارته وهمَّ بالقيادة، ليلاحظ في المرآة كلبًا أسود ضخمًا، أشبه بالذئب، وله خط أبيض يمتد على جسمه. كان يجلس خلف السيارة رافعًا رأسه كأنه بانتظار أحد ما، أطلق "حوت" بوق السيارة معتقدًا أن الكلب سيخاف ويهرب بسرعة. لكن الكلب ابتعد بهدوء، تاركًا "حوت" مستغربًا من أمر هذا الكلب الملفت للنظر، فهو لم يره عندما ركب السيارة، قاد "حوت" سيارته حتى أول الشارع ليجد أمه وأباه وبعض أقاربه من أهالي القرية مجتمعين أمام الدكان، اقترب "حوت" منهم مخاطبًا الجميع "السلام عليكم، خير، ما الذي حدث؟" استقبلته

أمه بعد أن أشبكت يدها بكوعه، ومشت معه، وهذا دليل على أن هناك شيئًا مهمًا لتخبره إياه. همست بنبرةً قلق "صيف ابن عمتك مختفي..."

لم يُبدِ "حوت" أي رد فعل، فهو يحاول تحليل ما سمعه وتجميع المعلومات. ثم أكملت أمه الكلام قائلة وردنا اتصال من أهل التل بفقدان ابن عمتك صيف منذ البارحة، وعمتك وضعها سيئ، ليرد حوت صيف ليس بصغير، ربما ذهب عند أحد أصدقائه لقضاء بعض الوقت. ربما شعر بالملل من العيش مع الماعز وقرر الخروج، وربما.. لتقاطعه أمه قائلة وجدوا فردة حذائه، وقليل من الدماء على الأرض، وآثار جر لجسد قرب المقبرة، قريب من بيت عمتك. لكن لا يوجد أثر لصيف، فتشوا المقبرة والقرية ومحيطها، لكن لم يجدوا شيئًا خارج عن المألوف كان "حوت" يحك أنفه، وآثار التفكير تظهر عليه، وعلامات استفهام كثيرة تدور في ذهنه. همَّ بالكلام ليقاطعه أبوه وهو يمشي باتجاهه قائلاً أدر مفتاح سيارتك، عمتك بحاجة لنا. هيا لنطمئن عليها ونعرف القصة بسرعة، ما هي إلا دقائق حتى وصل "حوت" مع والده إلى منزل العمة، ليتوقفوا في الساحة التي كانت مليئة بالناس. بعضهم

يدخل، وبعضهم يخرج. بدأ حوت بالتأفف، فأهل هذه القرية يحبون التقبيل والمصافحة كثيرًا، وهو ما يكرهه حوت، تقدم أقل من مسافة قدمين ليستقبله أحد أقرباء والده ضاحكًا "حي الله بالعريس" ثم بدأ يقبله على خده الأيمن وأخرى على الأيسر، ليجدد قبلة أخرى على خده الأيمن مع مسكة أكتاف وهزها قليلاً. وكان "حوت" يبتسم ابتسامة مزيفة، مستغربًا من أمر هذا الرجل الذي يبدو سعيدًا جدًا، بينما أحد أقربائه مفقود. ما هذه البساطة؟ تكرر هذا الأمر خلال العشر دقائق الأولى مع كل شخص تقع عيناه في عين حوت تقبيل، ابتسامة، وهز أكتاف ثم وصل "حوت" إلى مدخل منزل عمته ليجد والده الذي سبقه، جالسًا قرب أقدام العمة، وهو يردد بعض الجمل التي تبعث على الاطمئنان وتحث على الصبر. وكانت العمة العجوز تتكلم متمتمة كلمات غير مفهومة مع قليل من الأنين وبعض الدموع، وتكرار جملة "صيف الرضي، صيف الغالي..." ثم تعاود الكلام غير المفهوم لاختلاطه بالبكاء وتنهدات الأمومة. فالأم تزداد مشاعرها كلما كبرت في العمر، فإن خانها عقلها، فإن عواطفها لا تخون، اقترب "حوت" منها بعد

تقبيل رأسها قائلاً لها: "سنجده، لا تخافي. عليك فقط بالدعاء والأمور ستنحل." وطمأنها ببعض الكلام والوعود، ليخرج بعدها بقليل مع والده نحو السيارة وهم يفكرون: أين يمكن أن يكون؟ هل أصابه سوء؟ هل خُطف؟ هل قرر الهروب؟ ليلحظ "حوت" فجأة شيئًا أسود مألوفًا يجلس في نفس الوضعية التي رآه فيها من قبل. نعم، إنه نفس الكلب الذي شاهده قرب منزله. ما الذي يفعله هنا خلف هذه الحظيرة؟ ليهمّ بالذهاب نحوه، قبل أن يسمع صوتًا قاطعًا ذهابه: السلام عليكم يا ابني، كيف حالك؟

حوت: وعليكم السلام مولانا الشيخ صالح. نحمد الله ونشكره بفضل ونعمة

الشيخ صالح: الحمد لله دائمًا وأبدًا. هل يوجد أخبار جديدة عن ابن عمتك؟

حوت: لا والله يا شيخ، اختفاؤه فجأة أمر مريب، خاصة صيف البيتوتي إذا نزل إلى بيروت يضيع

الشيخ صالح: سنجده يا ابني، لا تخف. بل أنت من ستجده، ولكن انتبه على نفسك وتذكر دائمًا الناس تخاف من المجهول، ولكن عند الوقوع فيه يصبح أمرًا عاديًا. إياك ثم إياك أن تخاف ما دمت متوكلاً على الله، حتى لو ابتعدت عن بيتك، الله يراك ومعك ولو كنت تحت الأرض.

وعندما تحتاجني سوف أكون معك إن كتب لي العمر حينها ليقبّل الشيخ صالح رأس "حوت" ويبتعد عنه، تاركًا "حوت" يفكر بكلمات الشيخ وماذا كان يقصد. ليقطع تفكيره صوت من الخلف يسأل: "مع من كنت تتكلم يا ابني؟

حوت ملتفتًا نحو الصوت: أهلاً أبي، مع الشيخ

والد "حوت" مستغربًا: "أي شيخ؟ ماذا تقصد؟

حوت: "شيخ القرية، الشيخ صالح" ليلتفت "حوت" نحو الشيخ الذي" كان يسير أمامه، ليجده قد اختفى! "حوت" يكمل الكلام مع والده: "أين اختفى؟ لقد كان هنا قبل أن تأتي بثوانٍ، أين ذهب؟

والد "حوت": هيّا يا ابني، أمك لوحدها بالدكان ويبدو عليك التعب. لنذهب إلى المنزل، حوت يقود وتفكيره بالكلام الذي قاله له الشيخ، ولماذا تكلم معه بهذه السرعة كأنه يحذّره من شيء، ولماذا كان كلام الشيخ غير مترابط كأنه يتكلم بالألغاز. ويستمر "حوت" في الشرود ومحاولة فك معانيه ومعرفة ماذا كان يقصد الشيخ وما قصة هذا الكلب الذي رآه قرب منزل "حوت". ليقاطع شروده والده قائلاً: "هل تريدني أن أقود عنك؟ تبدو مريضًا، هل أنت بخير؟

حوت: لا، سنصل قريبًا وأنا بخير، لكني متعب قليلاً بسبب الترحيب الحار والقبلات المعتادة

والد "حوت" مبتسمًا: لم تتعود بعد؟ هل تعرف مقدار القبلات والعناق الذي ينتظرك من أقاربك عند زفافك؟

حوت": "لا أريد الزواج إذاً." ليضحك الاثنان. وما هي سوى أمتار قليلة حتى وصلا، ليبدأ والد "حوت" كالمراسل الذي كان في مهمة إخبارية وعليه تسليم تقرير المهمة باختصار عما حدث. ويبدأ والد "حوت" بإخبار زوجته عن حالة العمة وآلامها وما تعانيه لفقدان ابنها المفاجئ. وفي نفس الوقت، "حوت" يفكر بأن هناك شيئًا أو قطعة أحجية ناقصة لابد من معرفتها. لا يمكن للإنسان أن يختفي فجأة دون سبب، أخذ "حوت" لوحًا من الشوكولاتة المغلفة التي تبيعها أمه، وكالعادة من دون أن يدفع ثمنها، وهمّ بالمغادرة بعد أن ركب سيارته مودعًا إياها وهي تقول له كالعادة: "انتبه على نفسك بني، في حفظ الله ورعايته" ليعود "حوت" إلى شقته التي تبعد مسافة شارعين عن بيت العائلة وهو يحاول ربط بعض الأحداث مع بعضها. دخل شقته ليجد الساعة قاربت السادسة مساءً. بدأت السماء بالهطول، رمى بجسده على سريره ونظره للسقف وأفكار كثيرة تجول في رأسه. ليجد نفسه قد غطّ في النوم العميق دون قصد ليرى نفسه فجأة في أرض جرداء قاحلة لون حجارتها أسود وأطرافها جبال حمراء. وعلى بعد أمتار قليلة

من مكان وقوفه وجد رجلًا مربوطًا بسلاسل، أصلع وعاري الجسد، آثار الدماء تغطي جسمه المنخفض للأسفل. اقترب منه ببطء ليرى آثار التعذيب على جسده. خفض "حوت" جسده ونحّى رأسه لمعرفة من هذا الرجل. وقبل أن يرى وجهه، استيقظ "حوت" من نومه مفزوعًا ليجد الساعة قاربت الحادية عشرة، مستغربًا من نومه لهذه المدة الزمنية دون أن يغير ثيابه حتى. فهو آخر ما يتذكره كان مستلقيًا ونام فجأة ورأى هذا الحلم الغريب نظر إلى نافذته ليرى بعض النجوم في السماء، والمطر توقف. ليخاطب نفسه قائلاً: "عليّ أن أخرج لاستنشاق بعض الهواء." وعلى الرغم من شرفته الواسعة، قرر الخروج من شقته والذهاب إلى الأرض التي تقع خلف المبنى حيث يسكن لينتعش بشكل أفضل ويتأمل النجوم بشكل أوسع. وما هي إلا ثوانٍ حتى بدأ بالارتجاف، فالطقس بارد خاصة في الليل. حضن نفسه وبدأ بالتثاؤب والشعور بالنعاس، لكن لا رغبة له في النوم فالأحلام الجديدة مزعجة، أدار جسده ليعود إلى شقته الباردة، فعلى الرغم من برودتها تبقى أفضل من برد الخارج. صمت جميل يكسره بعض أصوات الحشرات،

نور خفيف قادم من المصباح فوق مدخل المبنى. شعور مريح يراود "حوت" كأنه أعاد شحن دماغه بعد أحداث اليوم المزعجة. وقبل أن يصل إلى مدخل المبنى بعدة خطوات، وقع نظره على كائن أسود يجلس جنب مدخل المبنى بطريقة لا تعيق الدخول، ولكن من الإجباري المرور بجانبه لمن يريد دخول الباب ليشعر "حوت" كأن كهرباء قوية قد أمسكت في جسمه مع قشعريرة وبعض التنمل ودقات قلبه تتسارع. وهذا كله بسبب الخوف، فهو تعرّف إلى هذا الشيء الذي يجلس جنب المدخل. إنه نفس الكلب الذي رآه في قرية "صيف" وقد رآه سابقًا في نفس اليوم. ماذا يفعل؟ هل يعود أدراجه؟ هل يركض؟ هل يصرخ كي يستيقظ الجيران؟ ثم يخاطب عقله قائلاً: "لكنه مجرد كلب، ما سبب هذا الخوف كله؟" ليفكر قليلاً ويقول لعقله: "ليست مصادفة وجوده، إنه شيطان، أنا لست بغبي. الكلب أسود، شيطان، وحركات هذا الكلب وأوقات رؤيته غريبة." ليعيد التفكير قائلاً: توقف عن المبالغة،والتأثر في افلام الرعب، إنه مجرد كلب. ربما أحد الجيران أطعمه وأحب المرور بين الوقت والآخر إلى هنا وبعد صراع بين قلبه وعقله وبين

خوفه وهدوئه، قرر أخيرًا الدخول إلى المبنى حيث توجد شقته من دون أن يلفت نظر الكلب. بدأ بالاقتراب وكلما اقترب زادت دقات قلبه. حتى أصبح على بعد خطوة من مدخل المبنى والكلب على نفس وضعية الجلوس، نظره أمامه وكأنه تمثال على شكل كلب. تقدم "حوت" في خطوته الأخيرة ليصبح على مستوى الكلب تمامًا، بل يكاد يقسم بأنه يشعر بأنفاسه الساخنة تضرب على جانب جسد "حوت" المقابل للكلب، استمر "حوت" في التقدم ليضع أول قدم داخل المبنى بعد أن صعد حوالي ثلاث درجات صغيرة ليبدأ الشعور بقليل من الاطمئنان وهو في حالة تردد: هل ينظر للوراء أو يستمر في التقدم؟ هل يركض أم يحافظ على هدوئه؟ فهو فعلاً تخطى الكلب بحوالي ثلاث خطوات. وقبل أن يخطو الخطوة الرابعة، تجمدت العروق في جسد "حوت" من الخوف، فهناك صوت صادر من خلفه وصوت مفهوم. لقد تكلم الكلب مخاطبًا "حوت" بصوت جهوري غليظ قائلاً: "صيف يحتاجك يا حوت، أنقذ ابن عمتك يا حوت، لا يوجد وقت يا حوت"... "حوت" في هذه الأثناء كمن تعرض للتخدير، أصيب بالغثيان وبلل نفسه مع أنه في الثلاثين من

العمر وعضلاته تشنجت من الخوف، ليكمل الكلب كلامه قائلاً: "اذهب غدا في منتصف الليل نحو برج الرومان، سأنتظرك هناك..." ليسكت الكلب فجأة، بدأ حوت يزحف ويقف قليلاً ثم يقع، ثم يزحف قليلاً حتى وصل إلى مدخل شقته ليفقد الوعي على مدخل الشقة من شدة دقات قلبه المتسارعة وحالة الخوف التي تعرض لها بعد سماعه لصوت الكلب

الفصل الخامس - حوت 2

استيقظ حوت ليجد نفسه نائمًا على باب شقته من الخارج. قام بسرعة مفزوعًا وفتح الباب ودخل، وأغلق الباب وأدار المفتاح مرتين من شدة خوفه. ذهب مسرعًا واغتسل للصلاة، وبعد الانتهاء من الصلاة وتلاوته لبعض الآيات والأذكار، بدأ يسأل نفسه: "ما هذا الذي حدث؟ هل هذا حقيقي؟ على الرغم من انخراط حوت قليلاً في علوم ما وراء الطبيعة وعالم الجن ورؤية وسماع بعض الأشياء الخارجة عن المألوف قليلاً بين الحين والآخر، بل حتى عندما كان مراهقًا، ذبح أرنبًا ورسم بدمائه رمزًا معينًا وجرح كف يده وأشعل شموعًا سوداء وأغلق على نفسه الغرفة وأطفأ المصابيح وقرأ بعض الطلاسم التي تعلمها من بعض كتب السحر لإحضار الجن، ونجح إلى حد ما، فقد تعرض وقتها لضربة شديدة على رأسه جعلته يغيب عن الوعي. وجد والدته في اليوم التالي تقف في وسط غرفته وهي تصرخ غاضبة من هذه الفوضى التي على الأرض من دماء ورسوم غريبة. لم يخبر أحدًا بأنه تعرض للضرب من قوى غامضة أو كائن مجهول. ربما حتى أنه كان يرى أطيافًا على شكل أضواء أو أجسام صغيرة تركض بين الحين والآخر، وحاول أكثر من

مرة التواصل مع قرينه عن طريق المرآة ونطق كلمات معينة وغيرها من التجارب. ولكن لأول مرة يرى كلبًا يتكلم ولونه أسود. حسب معلوماته، فإن الكلب الأسود نوع من أنواع الشياطين، لذا يعلم بأن هناك شيطانًا على شكل كلب حاول التواصل معه قاصدًا، وهذا الشيطان يعرف قصة اختفاء صيف بدأ حوت في محاولة جمع أفكاره وربطها وتهدئة نفسه لكي يخرج بتفسير منطقي لما يحدث. حوت مخاطبًا نفسه: "هذا الكلب الأسود بل الشيطان الأسود رأيته لأول مرة بعد اختفاء صيف، ومن ثم رأيته قرب منزل صيف، ثم لحق بي وتكلم معي ليخبرني عن صيف لأساعده. لذا، بكل تأكيد هو يعرف ما الذي حدث لصيف." يكمل حوت تحليلاته مع نفسه: لكن ماذا لو كان هذا الكلب هو سبب اختفاء صيف؟ فهو شيطان. ومنذ متى تهتم الشياطين بالبشر؟ هل هذا فخ ليؤذيني؟ كان بإمكانه أن يؤذيني البارحة لو أراد. لماذا يريد مني أن أذهب إلى البرج الروماني وفي الليل أيضًا؟ هل أنا غبي لأسمع كلام شيطان؟ لن أذهب. يصمت قليلاً حوت ليعيد الكلام مع نفسه: "لكن ماذا لو كان كلامه صحيحًا بأنه يمكنني مساعدة صيف إذا ذهبت معه؟

حسنًا، سأذهب. لن يؤذيني شيء مادام توكلي على الله ولن أخاف"

وبعد جدال وتردد، قرر أخيرًا حوت مساعدة صيف والذهاب حيث أخبره شحبار والبرج الروماني مبنى حجري قديم أشبه بعمود مع فتحات صغيرة ممتدة على طول البرج يعود إلى أيام الرومان، وكان يُستخدم في تحضير خلطات الكلس للبناء. كيف ولماذا، لا يعرف حوت، ولكن هذه هي القصة المتوارثة بين الأجيال عن ذاك البرج القديم الفارغ. يعرف المكان جيدًا، لأن قرب هذا المبنى يوجد مغارة ذات مدخل صغير يستطيع شخص نحيل فقط الدخول إليها. داخلها غرفة واسعة رطبة تتساقط من سقفها مياه باردة جدًا. كانوا يدخلونها مع أوراق النخيل اليابسة ليشعلونها عندما كانوا صغارًا هو وأصدقاء الحي لتضيء لهم المكان، كاشفة عن نقوش جميلة رسمتها المياه وأشكال غريبة هابطة من سقف المغارة، وسرعان ما يغادرونها عندما يبدأ الدخان بالتجمع. ولكن عندما كبروا قل اهتمامهم بها وحوت يعلم من قرارة نفسه بأن فضوله وأسئلته الكثيرة التي يحتاج أحد من عالم الجن ليجيبه عنها هو الدافع الأساسي للذهاب أكثر من الرغبة في مساعدة ابن عمته الراعي،

بدأ حوت بالاستعداد النفسي والجسدي، وبدأ يستعد ويتخايل حوارات إذا تكلم مع الكلب. أن لا يفزع، وأنه يمكن أن يرى أشكال مخيفة أو كائنات جديدة عليه لم يرها من قبل. وبأنه في الأغلب سيدخل إلى العالم السفلي، عالم الجن والشياطين. ربما لن يخرج على قيد الحياة أو يبقى سجينًا عندهم، وربما سيفقد عقله. عليه أن يستعد لكل السيناريوهات.

عليه أن يستعد جسديًا، فبدأ بشرب الكثير من السوائل وأكل طعام مغذٍ وشرب بعض البروتينات ولبس ثياب مريحة وحذاء للهرولة وقص شعره وأظافره. لم يعرف ما الذي ينتظره أو الطقس والعوامل الجوية أو نوعية الأرض، لكن هذه الأشياء التي فعلها حتى يشعر بالأمان قليلاً.

أخيرًا، قرأ ورده اليومي من الأذكار والأدعية المأثورة، ثم اتصل بوالدته وأخبرها بأنه سيذهب للاعتكاف في المسجد بالعاصمة لمدة ثلاثة أيام وسيغلق هاتفه ليبتعد عن الضوضاء. لم تستغرب والدته موضوع الاعتكاف، فهو له سوابق في الخلوات المنزلية والخروج في رحلات دعوية والاعتكاف بين حين وآخر، صلى العشاء ونام قليلاً ووضع المنبه على الساعة العاشرة استيقظ قبل العاشرة، وقبل المنبه،

نظر إلى الساعة لتبدأ دقات قلبه بالدق بسرعة مع خوف مخلوط بتوتر وضيق. فهو على بعد ساعة تقريبًا من حدث سيغير مجرى حياته وربما ستكون نهايتها. خرج من منزله قبل نصف ساعة، برودة الهواء محتملة، النجوم واضحة في السماء، الطقس جميل مما منح حوت قليلاً من التفاؤل. لم يركب سيارته لأن الطريق غير معبدة ووعرة حيث يوجد البرج الروماني. هرول قليلاً حتى شعر بالتعب، لكنه لم يتوقف. أكمل بخطوات بطيئة، وما هي إلا دقائق قليلة حتى بدأت ملامح البرج الروماني تظهر في الأفق. على الرغم من ظلمة الليل، إلا أن ضوء النجوم وصفاء السماء سمح له بالرؤية بشكل جيد. استمر في المشي وصعوبة الطريق تزداد مع كل خطوة حتى وصل أسفل المبنى الحجري القديم. بدأ يتأمله ويسترجع ذكريات الطفولة ليقطع شريط ذكرياته صوت جهوري قادم من خلفه. التفت حوت ورائه ليجد رجلًا أسمر ضخم الجثة، عريض الأكتاف والصدر، بطن مشدود مع شعر أملس إلى تحت أكتافه، أنفه أفطس ملائم لشكل الوجه، ويرتدي قطعة من جلد قديم تغطي عورته فقط. تكلم مخاطبًا حوت: "كيف حالك؟" حوت

صامت والخوف ظاهر على وجهه. ليكمل الرجل الضخم كلامه: "شكرًا لقدومك وثقتك بي" ليستجمع حوت قوته ويرد مع رعشة في صوته: "أنت إنس أم جن؟" ليجيب الرجل الضخم قائلاً: يمكنك مناداتي شحبار، وأنا بحاجة لمساعدتك. حوت مستغربًا: مساعدتي أنا؟

شحبار: نعم، وإذا لم يعجبك تشكلي هذا يمكنني العودة إلى شكل الكلب، أو يمكنك رؤيتي على حقيقتي، لكن أخشى عليك ألّا تقوى على ذلك

حوت مدعيًا القوة: افعلها وتحول إلى ما شئت، لن تخيفني. فقط أخبرني ماذا تريد مني وأخبرني أين صيف؟

شحبار: إنه تشكل، وليس تحول

حوت: "لا يهمني، أخبرني أين صيف؟ "

شحبار: سأخبرك كل شيء، ولكن عليك أن

حوت مقاطعًا: "لا تشترط، أخبرني الآن أين صيف أو سأرحل "

شحبار: حسنًا... حسنًا... صيف في عالمنا، عالم الجن. لقد تسبب في أذية إحدى الأميرات لدينا وحراسها انتقموا لها وسجنوه عندهم. حوت والقلق والخوف واضح في صوته: هل هو بخير؟ وكيف سيخرج؟

شحبار: لهذا أحتاج مساعدتك. لا أستطيع إنقاذه وحدي. عندما كنت على شكل كلب للرعي، لطالما اهتم صيف بي وتقاسم طعامه معي وكنا نلهو ونلعب معًا. أقل ما يمكنني فعله هو مساعدته للخروج .

حوت بصمت ...

شحبار: لا يوجد وقت للتفكير الآن. أريدك أن تلامس بظهرك حائط البرج الذي خلفك واغمض عينيك، ولا تفتحهما حتى أقول لك افتحهما،

تراجع حوت بتردد للخلف حتى التصق ظهره بالبرج، ثم أغمض عينيه، سمع أصواتًا عدة متداخلة وغير مفهومة، وشعر بحرارة عالية قريبة من وجهه. خاف أن يحترق من شدة الحر، ليسمع صوت شحبار بعدها قائلاً: يمكنك أن تفتح الآن، لقد وصلنا

الفصل السادس - مدينة الجن

فتح حوت عينيه ليجد نفسه في مدينة غريبة لم يشاهد مثلها، ولا حتى في أفلام الخيال والفنتازيا. بيوت من نحاس وبيوت أخرى من حديد وبعضها من الحجارة. مباني كبيرة أشبه بالقصور ومباني صغيرة تشبه الأكواخ. غرف صغيرة كالحوانيت متراصفة جنبًا إلى جنب، بعضها يعرض أحجارًا ملونة ولامعة مضيئة، بعضها يعرض طيورًا وحيوانات لم ير مثلها من قبل. بعض تلك الحوانيت مألوفة كالحداد وبائع الألبسة القديمة، وبعضها يعرض جلود لحيوانات ميتة، وبعضهم يعرض أعضاء بشرية بعضها حقيقي وبعضها بلاستيكي. وحانوت يعرض عقاقير ذات ألوان زاهية، وحانوت أشبه بمكتبة يبيع كتبًا وبرديات. أما الغريب في هذا السوق فهو زواره فبعضهم طويل ذو لون رمادي وله رأس أصلع وعيون سوداء حالكة كبيرة دون عدسة ولها ثلاث أصابع. عندما رآها حوت، تعرف عليها سريعًا وكاد أن يفقد الوعي لولا أن حضنه شحبار وهدأه. فهذه الكائنات شاهد العديد منها في أفلام الخيال العلمي وأفلام الغزو الفضائي. إذا، هذه المخلوقات حقيقية وليست مجرد خيال. ولفت نظره كائنات صغيرة تشبه البشر لكنها قصيرة

القامة، فبعضها يمتطي ثعالب وبعضها يمتطي جرذان كبيرة الحجم. وهناك أبقار وبغال وإبل وحمير وأفاعي وعقارب وكلاب تشبه شحبار قبل أن يتشكل، وقطط سوداء وبعضها زاهية اللون تمشي منفردة وكأنها مخلوقات ذكية رأى بعض البشر لا يختلفون عنه بشيء، ووجد بعض النساء الجميلات ولكن قصيرات القامة. طول الواحدة منهن حوالي المتر والنصف، ذو شعر أسود طويل يكاد يلامس كعوب أرجلهن، وبشرة بيضاء ووجه جميل وجسد شبه عاري. ولولا عيونهن السوداء المشقوقة وآذانهن التي تشبه آذان الخيل لما فرقهن عن نساء الإنس مرت دقائق وحوت يتأمل ويندهش في هذا المكان وسكانه ويسبح الخالق، ليقاطعه شحبار قائلاً: ألا تريد أن تستفسر أكثر عن هذا المكان؟

حوت: لماذا تسألني

شحبار: فضولك وأعرفه. سأخبرك عما رأيت، فهذا المكان يسمى بمدينة الجن، ولكنه ليس للجن فقط، فهناك البشر والجن والرماديين والحيوانات والكثير من خلق الله

حوت: إذا، ليس باطن الأرض للجن فقط؟

شحبار: في الأسفل، نعم، لكن في هذه الطبقة، لا

حوت: لم أفهم

شحبار: هذه الطبقة تسمى عند الإنس جوف الأرض، ولكن في الحقيقة هذه الطبقة تبعد عن سطح الأرض بعض الأميال فقط. وتحتها الكثير من الطبقات لا يعلمها إلا الله. بعضها يسكنها الجن والشياطين، وبعضها لا أعرف عنها شيء

حوت: إذا، كل هذا الوقت وتحتنا نابض بالحياة والبشرية لا تعرف! كيف هذا؟

شحبار: الكثير من البشرية يعرفون هذا، ويعرفون المداخل لهذه الطبقة تحديدًا. والكثير من الحكومات والشركات الخاصة الكبرى تتاجر وتتبادل المعلومات مع سكان هذه الأرض، خاصة الأمور التي تتعلق بالمعادن الثمينة والتقنيات المتطورة وغيرها الكثير من الأمور

حوت بصمت ...

شحبار: أعرف معلومات كثيرة وجديدة في وقت قصير، ولكنك فطن وستتفهم هذه الأمور

حوت: البارحة كنت في الدكان عند أمي، والآن أتمشى في أسواق في جوف الأرض مع شيطان على شكل كلب، وحولي مخلوقات غريبة

شحبار والغضب يظهر على عيونه: لا تنس هدفنا يا حوت، لسنا للسياحة هنا

حوت: قل ذلك لنفسك، أنا من يتبعك مثل إحدى عنزاتك

شحبار: سنذهب لبيت كافور ومن ثم ستفهم كل شيء

حوت: ما هذه الأسماء يا شحبار، كأنها تعيش في عصر الجاهلية

شحبار: ليس كل شيء يختلف عن ثقافتك يكون متأخرًا أو خاطئًا. لكل ثقافة سكانها. ثم أن كافور من الإنس وليس من الجن، ليبتسم حوت قائلاً: وماذا يفعل هنا؟

شحبار: عندما تراه، أسأله

حوت: كيف سأفرق بين الجن والشياطين والإنس وغيرهم؟ نعرف أن أصلهم من مارج من نار، ولكن أشكالهم وقدراتهم والكثير من الأمور التي نجهلها عنكم. أخبرني عنكم، أشبع فضولي

شحبار: الجن أجسام مؤلفة، وأشخاص ممثلة، يجوز أن تكون رقيقة وأن تكون كثيفة. هناك أنواع كالريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتكاثرون، وهناك أنواع يأكلون ويشربون ويتكاثرون. هناك ما يسمى بالثعالي والغيلان والقطرب والمردة. وأصدق من صنفنا الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، رسول الله. فهو من قال: الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وعقارب، وصنف يحلون ويظعنون

حوت: إذاً، من كان في السوق من زواحف وكلاب سوداء وقطط هم من الجن؟

شحبار: صحيح، فالكلب الأسود شيطان الكلاب، والجن تتصور بصورته كثيرًا، وكذلك بصورة القط الأسود، لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة

حوت: أين تعيشون؟

شحبار: الجن، بعضنا عشائر وأمم وقبائل، وبعضنا فرادى. تنتشر مستعمراتنا ومدننا الكبرى فوق سطح الماء وأيضًا في أعماقه. ونعمر الصحاري والأماكن الخالية والجبال المرتفعة وكل مكان من الكهوف والمغارات. بل طوائف منا تسكن بالشقوق والجحور أحيانًا. ومنهم من يقيم إقامة دائمة في منازلكم، خاصة المهجورة. ومنهم الشياطين التي تأوي إلى الحمامات ودورات المياه وأماكن النجاسة والقذارة. عددنا أضعاف مضاعفة عن الإنس، لا يعلم العدد إلا الله

حوت: إذاً صحيح أن أبوكم عرشه على الماء؟

شحبار: نعم، وتذهب إليه الشياطين لتخبره عن إنجازاتها. فبعضهم يخبره كيف وسوس لأحدهم ليقتل أحدهم ويضرب جاره ويفعل الكبائر، لكن لا تتم مكافئته ولا يقربه منه. فيأتي شيطان آخر يخبره كيف تمكن من تفريق المرء وزوجه فيزداد مكانة عنده. فمن أهم وظائف الشياطين ومطالب أبونا أن نفرق بين الأزواج

حوت: من أقوى، الإنس أم الجن؟

شحبار: بعضكم أقوى وبعضنا أقوى، يختلف الأمر بين الحين والآخر. بعضنا أذكى وبعضكم أذكى. لدينا قدرات ليست لديكم، ولديكم قدرات ليست لدينا. لكن المؤمن منكم الذاكر لله منيع ونخشى منه، حتى عندما يقوم بعض سحرتكم من الإنس بإرسال شياطين لأذيته، لا نراه. قد

نسمع صوته في بعض الأحيان، ولكن لا نراه، فهو لديه ما يشبه الدرع أو الحاجز. ويختلف هذا الدرع بين شخص وآخر، ويكون هذا الحاجز في أضعف حالاته عند الغضب، لذا أسرع طريق للشيطان غضب الإنسي. خضنا الكثير من الحروب معكم، منها ضد بعض ومنها توحدنا معكم ضد أعداء آخرين. وأخر حرب كبيرة كانت بين الجن والغياطلة، معروفون عندكم في التراث العربي بقبيلة بنو سهم، انتهت باتفاقية وتعهد بين الطرفين حقنًا للدماء. ولا تنسى بأن كل شيء يكون بأمر الله وحكمته، ونحن وأنتم مكلفون، أي سيحاسبنا الله على أعمالنا

حوت بابتسامة شريرة قائلاً: لكن نحن أفضل منكم وأعلى مكانة، يكفي بأن الرسول عليه الصلاة والسلام من الإنس وهو خير خلق الله شحبار مقاطعًا: لا تغتر يا حوت، الغرور من أبشع الخصال وهي السبب في غضب الله على أبانا ولعنه حتى قيام الساعة. ولا تنسى بأن الرسول أرسل للثقلين، لنا ولكم، ومدح فينا، بل قال بأننا أحسن منكم في إحدى المرات

حوت: كيف؟

شحبار: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا أصحابه، فقال: لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردودًا منكم

كلما أتيت على قوله: فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد. وهذا يدل على ذكائهم، وفطنتهم، ومعرفتهم بمؤونة الخطاب وعلمهم أنهم مقصودون به، حوت بعيون تتوق للمزيد: ما الفرق بين الجن والشيطان؟

شحبار: لا يوجد فرق، الجن والشياطين نفس الخلق، لكن من يكفر من الجن ويفسق يسمى شيطانًا، ومن يتمرد ويبطش يسمى مارد

حوت: أنت تتشكل في هيئة كلب ولون أسود، إذا أنت شيطان

شحبار: كنت شيطانًا وأعانني الله وأسلمت. كنت أجلس قرب صيف عندما يعزف على آلاته الموسيقية وأوسوس له بأن يستمر في العزف دون توقف، ولكن كان كثيرًا ما يقرأ القرآن ويسبح خلال تأمله في

دوابه. وهذا ما جعلني أؤمن وأدخل الإسلام. كما أنه يمكن للشيطان أن يتشكل في شكل بشر، ليس فقط في شكل الحيوانات

حوت: ماذا تأكلون؟

شحبار: أكل الجن كأكلكم، فإنهم يشاركون الناس في طعامهم إذا تيسر لهم دخول بيوت الناس، ولم يسم الناس عند الطعام. فإذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل الإنس منكم فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت. وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء. ونأكل أيضًا من اللحوم التي يجعلها الله على العظم بعد انتهاء الإنس منها. فبعضًا من جدودنا الجن سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الزاد، فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم. ولا مانع من أن يأكلوا مما خلق الله من نبات الأرض وفي الصحاري

حوت: ماذا تقصد بعلف لدوابكم، هل لديكم دواب؟

شحبار: نعم، فالشياطين تركب الإبل، وبعضنا يركب الثعالب والجرذان، ونركب السيارات والطائرات. يحتاجون كما يحتاج الإنسان، فهم يظعنون ويحلون

حوت: هل صحيح بأنكم تعملون مع السحرة لأذية الناس؟

شحبار: السحر منه ما يشتمل على الاستعانة بالجن لتسليطهم على شخص ما لأذيته، ومنه ما لا يكون كذلك. فالسحر أنواع مختلفة، فمنه ما يتعلق بالجن، ومنه ما لا تعلق له به. ثم اعلم أن في الجن كما في الإنس صالحين وفاسدين وعصاة ومؤمنين وشيوعية وبوذيين ومسيحيين ويهود. حتى الجن المسلمين، فمنهم السنة والشيعة والدروز والخوارج ومرجئة. لذا فينا من يعمل مع السحرة ومن يعلمون الناس السحر، وهم الشياطين الكفرة

حوت: لماذا نرى بعض الجن وبعضهم لا، ولماذا لا أرى قريني، وهل يمكن أن يؤذيني؟

شحبار: لا يمكنك أن ترى الجن على حقيقتهم، ولكن يمكنك رؤية تشكلهم، أما على هيئة حيوانات أو هيئة بشرية أو قريبة من البشرية.

قد يتشكل لك على هيئة قبيحة مخيفة لإخافة بعض الإنس. يمكن للشياطين أن تؤذي وتضر، ولكن أغلب عملها في الوسوسة. فالقرين هدفه ضلالك والوسوسة بالشر، وتارة ينسيك عمل الخير، وتارة يعد ويمني، وتارة يقذف بالقلب الوسوسة المرعبة. لذا الأمر يعود إليك للاستعاذة من شر وسوسته وكيده محصور في تلك الأمور. فاستعن بالله على مدافعته، والانتصار عليه

حوت: متأملاً في السماء والتفكير في كلام شحبار ليقول فجأة: ماذا عن هذا الضوء يشبه الشمس وليس بشمس؟

شحبار: لا يوجد ليل هنا، فهذه الصخرة الكبيرة الموجودة في السقف تضيء معظم هذه الأرض. ويوجد صخور صغيرة منها تحتوي على بعض الطاقة الطبيعية، ويتم استعمالها والاستفادة منها لكثير من

الأشياء، خاصة لعالمكم ليشير شحبار فجأة بأصبعه نحو معالم منزل صخري قديم مع بوابة خشبية كبيرة بدأ يظهر في الأفق: لقد وصلنا يا حوت، هذا هو منزل كافور

الفصل السابع - الساحر كافور

وصل شحبار وخلفه حوت عند منزل صخري قديم متهالك متوسط الحجم. أمام مدخله دائرة من الأحجار الصغيرة المتراصفة التي تشبه مدخل الآبار المائية المحفورة في عالمنا. وإلى جانب هذا البئر وثاق حيوان يشبه البقرة لكن بحجم الخروف وبقرن واحد ولون جلده قريب من لون الفيل. وجنية تشبه إحدى النساء التي رآها في سوق المدينة، شعر أسود طويل مع بشرة بيضاء شاحبة وآذان مدببة وبنية ضعيفة وقصيرة وشبه عارية، واضعة دلو صغير تحت أثداء هذا الكائن لينتج الحليب بنفس طريقة عمل الدواب في عالمنا أكمل الثنائي نحو مدخل المنزل ليقف شحبار أمام بوابة خشبية قديمة. وقبل أن يهم بالكلام، صاح صوت من داخل المنزل: ادخل يا شيطان. ليتأفف شحبار ويدخل

وخلفه حوت ليجدا غرفة واسعة يتوسطها حفرة من النار في الأرض. خلف هذه الحفرة رجل في الخمسينيات من العمر، أسمر البشرة، ضخم الجثة، غليظ الشفتين، أفطس الأنف، مثقوب الشفة السفلية مع حلقة من النحاس تتدلى منها. في يده قضيب من الحديد يقلب به الجمر. تجمعت حوله عدد من الجنيات، بعضهم عاري الجسد، يكتبون بأقلام من الشمع الملون ما يشبه الطلاسم والرسوم الشيطانية على جلد مدبوغ وعلى حيطان الغرفة توزعت أسلحة قديمة من العهد العثماني وبعضها نازي وبعض الأوسمة والصور القديمة والميداليات الحربية القديمة وبعض الرسوم لكائنات غريبة وكلمات للغات أغرب، أثناء انذهال حوت بالغرفة التي أشبه ما تكون لمتحف لمعروضات الحرب العالمية، صرخ كافور: "حوت ابن فميليا شرفتنا اليوم." مع ابتسامة أظهرت حجم لسانه الضخم ليرد حوت مستغربًا: كيف عرفت اسمي واسم أمي؟ من أخبرك يا هذا؟ ليتجاهله كافور متجهًا بالكلام نحو شحبار: لماذا عدت يا شيطان؟ ليصرخ شحبار بصوت مرعب جعل

الجنيات تتوقف للحظات عن الكتابة: "لم أعد شيطانًا، لقد هداني الله وأسلمت." والغضب يظهر عليه

كافور: أعلم، لقد وصلني خبر إسلامك

شحبار: إذاً لماذا تناديني بالشيطان؟

كافور: أحب أن أراك غاضبًا.. شحبار بصمت... كافور: أعرف لما أنتم قادمون وكنت بانتظاركم، وطلبت من إحدى خادماتي تحضير واجب ضيافتكم أيضًا

حوت: إذاً ستساعدنا؟

كافور: إن استطعت، لن أبخل عليكم

حوت: ما المقابل؟ فنحن في عالم الجن، لا يوجد شيء مجاني

كافور: لكن أنا من بني الإنس

حوت: لا يوجد شيء مجاني في عالمنا أيضًا، خاصة من مشعوذ

كافور مبتسم: لولا صراحتك وإعجابي بك، لقطعت لسانك ورميته لإحدى خادماتي

حوت بصمت...

كافور: حسنًا أيها الفطن، أعطني إصبع كف يدك اليسرى الصغير

حوت: لماذا؟

كافور: ثمن قليل شبه مجاني لما سأقدمه لك. سأجعلك تسأل ما تريد .. بقدر الذي تريده والوقت الذي تحتاج. ومجرد خروجك من باب المنزل تنتهي الصفقة، حوت يفكر قليلاً، فهو يعرف بأن السحرة يتعاملون مع الشياطين، خاصة السفلية منها. حتى بعضهم يتعامل مع المردة، ولا يستبعد أن يكون كافور من هذه الفئة القوية. فثقته ومعلوماته وشكله يوحي بأنه يتعامل مع بعض ملوك الجان. وعلى الأغلب سيكون هناك عهد بالدماء أو يربطه بطلسم أو يطلب منه أمور تخالف الشرع

والمنطق السليم. ولكن بعد تفكير بوقت ليس بقليل، يجيب حوت بالموافقة ليصرخ شحبار: لا يا غبي، ماذا تفعل؟ هل جننت؟ أعرف أنك ساذج، ولكن ليس لهذه الدرجة ليرفع حوت كف يده بوجه شحبار قائلاً: لا تتدخل ليلتفت شحبار بنظرة انكسار نحو النار من دون أن يتكلم كافور ضاحكًا: بدأت أحبك يا صديقي.حوت رافع إصبعه الخنصر من فوق النار نحو كافور ليمسكه بإحكام كمن يمسك عصفورًا يريد الهروب. وفي يده الثانية حمل إبرة تشبه التي تستعمل في الخياطة ولكن أكبر قليلاً وأدق. بعد أن وضعها في وعاء من الحبر الأحمر، بدأ بوشم إصبع حوت ليصرخ حوت بصوت عالٍ: لا تقترب من أسفل الإصبع، بل ارسم فوق الأظفر وحوله، ليرد كافور عليه قائلاً: لكنها أشد ألمًا وحساسية هذه المنطقة، هل أنت متيقن؟

ليجيب حوت: نعم، افعل ما أخبرتك، حاول ألا تنزل عن العقلة في رأس الإصبع كافور، ويبدو أنه سيستمتع بالألم الذي سيعاني منه حوت، يبدأ بالوشم بفم مفتوح، وحوت يتأوه بصوت منخفض. لينتهي كافور برسم ما يشبه المربع الصغير وداخله أحرف وأشكال غريبة. تفنن في رسمها

كافور مع أن المساحة صغيرة. فهم حوت بسرعة ما رسمه المشعوذ، لكن حافظ على صمته. شحبار ما زال هادئًا متأملاً في النار كافور رافعًا يده في الهواء لتأتي جنية من خلفه تحمل قطعة قماش بيضاء. تتجه نحو حوت وتمسك إصبع يده وتبدأ في لعقه بلسانها عدة مرات قبل أن تلفه في القماشة البيضاء، ونظرها نحو عيون حوت قائلة: لا تفكك عقدة الضمادة حتى تنفك بنفسها، عندها يمكنك إزالة الضمادة حوت محركًا رأسه بالفهم ليتكلم كافور بأنه مستعد لاستقبال الأسئلة، واضعًا وسادة خلف ظهره لكي يرتاح أكثر في جلسته. فعلى ما يبدو لن يرحل حوت بسرعة وسيستغل كل ثانية في أسئلته واستفساراته، ففضوله الظاهر في عينيه لا يمكن إخفاؤه ليبدأ حوت سريعًا بالقول: كيف عرفت اسمي واسم أمي؟

كافور: قرينك من أخبرني

حوت: منذ متى وأنت هنا في هذه الطبقة من الأرض؟

كافور: توقفت عن حساب الأعوام منذ مدة، ولكن يمكنك القول أول دخول لي كان بدايات الحرب العالمية الثانية بأوامر مباشرة من الرخ حوت: أتهزأ بي؟ اتفقنا ستجاوبني على أسئلتي وبكل صراحة. أتقول بأن عمرك حوالي مئة عام؟

كافور: بل مئة وخمسة عشر عامًا

حوت بنبرة تعجب: كيف؟ ليقاطع فتح الباب حديثهما، ودخول إحدى الجنيات وفي يدها دلو من الحليب لتضعه على زاوية النار ليغلي. ليقول كافور: هذا الحليب أحد الأسباب بالإضافة إلى بعض الأعشاب الموجودة في هذه الأرض التي لديها خصائص علاجية تجدد الخلايا العمرية وتقلل من عملية الشيخوخة في جسم الإنسان ما تجعل بعضنا يعيش حتى قرن ونصف من الزمن وبذاكرة قوية، ولكن في الأخير الموت أمر لا مفر منه حوت: أيوجد كثير من الإنس هنا؟

كافور: ليس بكثير ولكن ليس بقليل أيضًا. بعضهم مستقر مثلي، وبعضهم يخرج ويعود، وبعضهم خرج ولم يعد

حوت: كيف علمتم بأمر هذه الطبقة وكيف دخلتم وكيف حافظتم على سريتها طوال هذه المدة؟

كافور: كنت من فرقة المشاة للاستطلاع والاستكشاف التي عينها الجيش النازي في قريتي في إحدى الدول الأفريقية. وكنت أنا من يقود الطريق نظرًا لخبرتي في معرفة سهول السافانا والغابات والكهوف. كان معهم خريطة قديمة لعدة أماكن ولمداخل كهوف، وفعلًا بعد بحثنا لأيام وسؤالي لعدة قبائل بدائية، استطعنا أن نجد الكهف المنشود لتكون أول تجربة لي وأول دخول لعالم الجوف الأرضي. وسبب اهتمام النازية بأمور ما وراء الطبيعة وملاحقتها للخرافات القديمة محاولتهم لإنشاء سلاح فتاك. فهم اكتشفوا بأن عدد كبير من الخرافات مبني على حقائق بعد اكتشاف أحد الباحثين الألمان في الجيش النازي وثيقة تقول بأن

شعوب الڤايكنج الذين استوطنوا الدول الإسكندنافية قديمًا اختفوا فجأة وتركوا قراهم ومنازلهم على حالها، وأن سبب اختفائهم أن أحد ملوكهم اكتشف في القطب الشمالي مدخل إلى داخل الأرض أشبه بعالم آخر حيث يعج بالكائنات النابضة بالحياة والدفء والضوء. تخلوا عن كل شيء واستقروا في هذه الطبقة الجوفية. فعلًا بعد البحث والرحلات الاستكشافية، استطاع النازيون أن يعثروا على عدد من هذه البوابات والتنقل فيما بينها

حوت: "أين توجد هذه البوابات؟ وكم عددها؟

كافور: "لا أحد يعرف عددها الفعلي، ولكن هناك مدخل في كل قطب، " ومدخل في صحراء سيفار بالجزائر، ومدخل تحت جسد أبو الهول في الجيزة، ومدخل في إحدى الجزر البعيدة في وسط المحيط الأطلسي، وآخر قريب من مسقط رأسي في أفريقيا. هناك مدخل كان يستخدمه السكان الأصليون قبائل الأباتشي، ولكنه أصبح الآن قاعدة عسكرية سرية تسمى بالمنطقة 51، وتستخدمه حكومة تلك الدولة في مصلحتها الخاصة. هناك من يقول إنه يوجد مدخل أيضًا في إحدى أراضي

سيبيريا الباردة. أما سؤالك عن سبب بقائنا سرًا عن البشر، فهو بطلب من قادة هذه الطبقة واتفاق مع قادة دول العالم الكبرى. سكان هذه الطبقة يسبقوننا بالقوة والتطور، ويريدون الأمر أن يبقى كذلك حتى تصبح عامة البشرية جاهزة لقبول فكرة وجود عوالم أخرى غير عالمهم. قادة هذه الطبقة من النوع الذي لا ترغب في إساءة الفهم معهم. هم مخلوقات على الرغم من ذكائها، لكنها ليست لطيفة على الدوام

حوت: بدأت أشعر بالصداع والغثيان

كافور: شعور طبيعي بعد معرفتك لهذه الأمور وبهذا الشكل المتدفق وفي وقت قليل. لذا أقترح أن تتوقف عن طرح الأسئلة وتأخذ قسطًا من الراحة... حوت بنبرة حادة: لا، فالأهم لم يأت بعد

كافور: يمكن للأسئلة أن تنتظر، عقلك أهم حوت وبنظرة شر شعر منها كافور بنوع من الخوف: أين ابن عمتي يا كافور؟

كافور: ابن عمتك هنا في هذه الطبقة، وهو بخير، لكن إلى متى لا أعلم.حوت: ماذا تقصد؟ أخبرني أين هو، ومع من، ولماذا لا أراه؟

كافور: تمهل قليلاً حتى تعرف وتوقف عن مقاطعتي. عندما كان صيف في عالم الإنس، حصل صدام بينه وبين أميرة من الجن تدعى شعلوة بنت الفرزد. أبيها ملك من ملوك الجن، ومعروف بقوته وقوة قبيلته. هذا الصدام أدى إلى إصابة هذه الجنية إصابة خطيرة جعلتها تدخل في حالة تسمى الموت البطيء، وهو ما يشبه الغيبوبة في عالمنا. الأمر الوحيد الذي شفع لصيف كي لا يقتل في الحال هو أنها تتعالج في هذه الطبقة، والسلطة في هذه الطبقة لن يسمحوا بموت رجل من الإنس هنا من دون محاكمة عادلة على الأقل. فأبيها الملك يخشى أنه لو قتل صيف سيتوقفون عن معالجة الأميرة، ولكن هذا لم يمنع العذاب الذي تعرض له صيف من حراسها وحراس أبيها. يبدو أن صبر الملك بدأ ينفد، فهو يعتقد أن الطريقة الوحيدة لشفاء ابنته الآن هي بقتل صيف واستخراج قلبه وتقطير بعض الدماء من قلب صيف بفم شعلوة. هذه

الطريقة كانوا يطبقونها قبيلة الملك في السابق لشفاء محاربيهم، ولكن العديد من وزرائه يطالبون الملك بالتمهل وإعطاء بعض الوقت لأطباء الرماديين والجن في علاج الأميرة

حوت: إذاً ما الهدف من المحاكمة إذا كان الملك يريد قتله ولن يقبل شيئًا آخر؟

كافور: لا يوجد أي شهود حتى تقام المحاكمة. فهم بانتظار الشهود، وإذا وجد من يشهد، فخوفه من بطش الفرزد سيمنعه من ذلك. فالشاهد سيكون كمن يقدم على الانتحار. أمر الملك بالقضاء على الشهود جاري فهو لا يريد أي فرصة تنقذ صيف من القتل. يبدو أنه بدأ بفقدان الأمل من شفاء ابنته، ويريد لها ثأرًا يليق بمكانتها ومكانته. فلا يمكن لابنة الملك فرزد أن تموت على يد راعي من الإنس، إذ عليه أن يموت قبلها. لكن أعتقد إن حصلت محاكمة، قد يستطيع صيف أن يبقى على قيد الحياة حتى ولو وقتًا أطول قليلاً حوت واضعًا كفيه على عينيه

ويفرك جبينه قليلاً وأثر التفكير في حل ظاهر عليه. ليتكلم شحبار بصوت منخفض: أنا سأشهد

حوت وكافور بصوت واحد: ماذا قلت؟

شحبار: أنا سوف أشهد. نعم، أنا سأشهد، وأعرف كل الذي حصل وأعرف الأشياء السيئة التي كانت تفعلها شظية بحق صيف وقطيعه.
كافور: أتقول إن الأميرة شعلوة كانت تعيش مع قطيع الماعز لصيف، وكان اسمها شظية؟. شحبار محركًا رأسه بالقبول
كافور: هذا يغير كل شيء، إذاً ليست مصادفة أن يصطدم صيف بشعلوة ويضربها، بل كان هناك معرفة ولقاء متكرر في عالم الإنس. الآن تغير كل شيء، وزادت فرصة الدفاع عن صيف ولو قليلاً. يجب إجراء المحاكمة بأسرع وقت إذا كنتم ترغبون بإنقاذ صيف

حوت: ولكن هذا يعني موت شحبار، هل أنت متيقن أنك من الجن؟ أعتقد بأنك سمكة زينة لحجم ذاكرتك، ألم تسمع منذ قليل كلام المشعوذ بأن أبيها سوف يقضي على كل من يقبل الشهادة في قضية ابنته، هل تريد الانتحار؟

شحبار: لا أخشى من أبيها أو من حراسه، وقبيلتي لن تسمح بأن أتعرض لأذى. الفرزد من الجن الكافر، وأنا من الجن المسلم، لذا نحن أقوى، حوت محركًا رأسه نحو كافور. كافور يهز رأسه مع ابتسامة ليتأفف بعدها حوت قائلاً: إلى المواجهة إذاً. شحبار محركًا رأسه بالموافقة كافور متجهًا بالكلام لإحدى الجنيات التي تكتب على جلد مدبوغ قائلاً: أعلنيها الآن بأن هناك شاهد يرغب بالدفاع عن الإنسي المتهم بمحاولة قتل الأميرة شعلوة، ابنة الملك فرزد

الفصل الثامن - الملك فرزد

قصر كبير من النحاس مع حراس موزعين على مختلف الأبواب، ضخام الجثة عريضين الأكتاف، بعضهم بطول رجلين من الإنس. يلبسون زيهم الحديدي ويحملون ما يشبه الرماح مع شعلة نارية في نهاية رأس كل رمح. في داخل القصر، صالة كبيرة مزينة بثريا عملاقة أشبه بالكوكب ومشاعل نارية موزعة على امتداد حيطان الصالة وسواريها العملاقة، ما جعل الضوء فيها كالضوء في يوم مشمس. في رأس الصالة، توسط كرسي كبير من الزجاج الكريستالي يجلس عليه رجل ضخم أحمر البشرة بلحية طويلة غطت رقبته ورأس أصلع تزين بتاج من الذهب محفور عليه بعض الأشكال لحيوانات مفترسة. في يده اليمنى صولجان ضخم مع ياقوتة حمراء كبيرة في نهاية رأسه. خلف هذا الرجل يقف شاب ضخم متأهب، مفتول العضلات، نفس لون الجلد والملامح ولكن أكثر شبابًا، كأنه مستعد لأي شيء قد يعرض حياة الملك للخطر فجأة، صوت صغير يشبه صوت الطفل يطلب الإذن للدخول إلى الملك للضرورة الملك: تفضل بالدخول

المرسال: حضرة الملك الموقر، مروض الوحوش وقاهر المردة وحاكم بلاد السند والهند، المفتدي الواثق، أرجو أن تسمح لي بقراءة الرسالة

الملك: لك الإذن

المرسال: من الحكام أصحاب الدم النقي إلى من يهمه الأمر من الإنس والجن وسكان أرضنا الطيبة، نود إعلامكم بأن القضية المرفوعة من زوارنا بحق الإنسي الذي تعرض لجنية في القضية رقم 666، بأنه تم إيجاد شاهد للحادثة، وبهذا تكون اكتملت عناصر القضية للبدء بالمحاكمة في وسط السوق الكبير مع بداية ضوء الحجر الثالث في سمائنا الأم. عاش المؤسس الكبير انتهت الرسالة، لتسقط فجأة ضربة مدوية من صولجان الملك إلى رأس المرسال الصغير، خالطًا اللحم مع الدماء ليبدأ جسد هذا الكائن بالاضمحلال شيئًا فشيئًا حتى يختفي كليًا، تاركًا بقايا حمراء داكنة تشبه الدماء على الأرض. الملك وهو يفرك صولجانه في ردائه الحريري لتنظيفه من آثار اللحم والدماء قائلاً: من الذي تجرأ على قبول الشهادة في حادثة ابنتي؟ ليبدأ بالصراخ بعدها

مناديًا أحد شيطانيه الذي يسرق السمع من السماء. تكون وظيفة هذه الشياطين معرفة بعض الأمور ونقلها للمنجمين والمشعوذين مع زيادة مئة كذبة مع كل خبر. وما هي إلا ثوانٍ حتى حضر شيطان أسود بجناحين يشبهان جناح الوطواط ليقف أمام الملك منتصبًا قائلاً: "سمعًا وطاعة حضرة الملك الموقر، مروض الوحوش وقاهر المردة وحاكم..." ليقاطعه الملك قائلاً: أريد أن تستعلم عمّن يريد الشهادة في محكمة ابنتي، احضره أمامي الآن

الشيطان المجنح: علم ونفذ. ليختفي بعدها فجأة. كل تلك الأحداث والشاب الضخم خلف الملك لا يتحرك كأنه تمثال حجري، في داخل بيت كافور، يجلس الثلاثة يشربون الحليب ويفكرون في قضية صيف. ليبدأ كافور فجأة بالتمتمة بشكل مخيف مع تحريك شفاهه بسرعة وعيونه البيضاء تنظر نحو السقف. خلفه الجنيات التي توقفت عن الكتابة وبدأت بإصدار ما يشبه الفحيح، ودخلت فجأة في عراك مع كائن مجهول. لتبدأ الأشياء في غرفة كافور بالتطاير، وبدأ جسد أسود ضخم

مع جناحين بالظهور في وسط الغرفة والجنيات يتصارعن معه. كافور على حالته التي تشبه كمن تعرض للصرع. شحبار يقف أمام حوت كاشرًا عن أنيابه لحمايته من أي مكروه. حوت فاتح فمه بذهول وخوف مما يراه. تصاعدت حدة الاشتباكات، إحدى الجنيات طارت إلى حائط الغرفة نتيجة إحدى الضربات لتبقى على الأرض دون حراك. مادة لزجة سوداء بدأت تظهر من جسد هذا الكائن. إحدى الجنيات تمسك بيدها أداة حادة وتبدأ في قطع إحدى جوانح هذا الكائن ليصرخ من الألم ويرميها إلى الحائط الآخر لتعود وتكرر هجمتها. جنية أخرى تقف على أكتاف الكائن وتبدأ بعضه من عنقه. إحدى الجنيات تضرب هذا الكائن على قدميه الخلفيتين ليقع على الأرض، وتبدأ الجنيات بالوقوف فوقه مع غرز مخالبهما وأنيابهما في جسد هذا الكائن، يقف كافور بعدما أخرج من النار قضيب حديدي طويل قد تجمر من نهايته، ليذهب به نحو هذا الكائن الغير قادر على الحراك بعد أن خرت قواه وقيدت حركته الجنيات. ليقف أمام هذا الشيطان متمتمًا ببعض الكلمات، ليبتسم من بعدها قليلاً ثم يوجه طرف القضيب في قلب الشيطان ليصدر صرخة

مدوية جعلت حوت يرتعد خوفًا. يبدأ جسد الشيطان بالاختفاء شيئًا فشيئًا حتى كأنه لم يكن له وجود. حوت يرتجف ويقول: "أشعر بالبرد، أشعر بالبرد." وأمامه شحبار وعلى وجهه نظرة غضب. كافور يعود إلى مقعده للجلوس واضعًا القضيب في النار مع ابتسامة صفراء كأنه لم يحصل شيء الجنيات اصطفّت بشكل دائري مع وضع المصابين منهم في النصف والتمتمة بلغة غير مفهومة، كافور مستأنفًا كلامه: لم أظن أنه يوجد شيطان غبي لدرجة الدخول إلى منزلي وغرفتي الخاصة تحديدًا

شحبار: أتظن أنه مرسول؟

كافور: بل متيقن، لا يتجرأ شيطان للدخول إلى منزل مشعوذ من دون دعوة إلا إن كان أمرًا من سيده. وعلى ما يبدو الملك يريد القضاء عليك قبل المحاكمة

شحبار: علي أن أبتعد عنكم حتى لا تتعرضوا للأذى بسببي

كافور: لقد تأخرنا فعلًا، سيعلم الآن بأننا فريق واحد وأصبحنا ثلاثتنا أهداف له

حوت: ولكن لم يتبق وقت كثير حتى وقت المحاكمة

كافور: صحيح، لا أعتقد سيرسل أحدًا آخر، سينتظر مجرى المحاكمة وعلى أساسه سيتخذ قراراته

حوت: أشعر بالبرد

كافور: مجرد صدمة من هول ما رأيت، ستصبح بخير بعد قليل وستعتاد هذه الأمور

الفصل التاسع - المحكمة

بعد مرور حوالي يومين بتوقيت السطح وقبل إضاءة الحجر الثالث بقليل، خرج الثلاثي يتوسطهم حوت وعلى يمينه شحبار وعلى يساره كافور. حوت يتوقف فجأة ليقول: علينا العودة لمنزلك يا كافور

كافور: هل جننت؟ دقائق وتبدأ المحاكمة

حوت: إذاً سأعود وحدي وألحق بكم مسرعًا

كافور: من الخطر أن تمشي وحدك، هل نسيت أن دمنا ما زال مهدورًا من قبل الملك؟ ولماذا تريد العودة إلى بيتي فأنت لم تنس شيئًا هناك حسب معرفتي

حوت: علي أن أكتب رسالة مستعجلة لأمي، ماذا لو لم أعد؟ لا أتحمل فكرة بقائها متأملة في عودتي، فهي لا تعرف أين أنا

شحبار: حسنًا اذهب معه يا كافور وسأسبقكما إلى المحكمة، فهم بحاجتي أنا فقط

كافور: لن يذهب أحد من دون الآخر. وإذا كنت تريد كتابة رسالة، يمكنني مساعدتك من دون العودة إلى المنزل. سأستدعي إحدى خادماتي وتخبرها بما تريده وهي تكتب الرسالة بنفس خطك دون تفرقة

حوت: ولكن هذا الشيء خاص بيني وبين أمي، لا أرغب بأن يطلع عليه أحد، خاصة مشعوذ

كافور: يمكنني أن أمرها ألّا تخبرني بمحتوى الرسالة وأن تسمع كلامك أنت فقط، لكن هيا أرجوك تأخرنا ليوافق حوت على مضض. كافور متمتمًا ببعض الكلمات ليبدأ فجأة ظهور دخان خلف حوت، ليتشكل بعدها جسد إحدى خادمات كافور. كافور موجهاً كلامه للجنية: لبي ما يحتاج حوت ومن دون أن تخبري أحدًا عما سيحدث بينكما، حتى أنا لا تخبريني، هل هذا واضح؟ الجنية تهز رأسها بالفهم، حوت يقترب نحو الجنية: أريد ورقة وقلم وسكين حادة. ويبدأ بطلب الأدوات، وأذان الجنية المدببة قريبة من فم حوت

شحبار: دعنا نسبقه قليلاً يا مشعوذ حتى يعبر عما داخله بخصوصية

كافور: لم أعرف أنك حساس هكذا يا كلب

شحبار: لسنا جميعًا مثلك بلا قلب يا مشعوذ

كافور: سأشتاق لك بعد أن تموت

شحبار: بل أنا من سيرتاح منك ومن لسانك، بدأ الاثنان يبتعدان عن حوت واستمرا في المشي. لتبدأ التجمعات التي تنتظر المحكمة بالظهور ليقف قليلاً الاثنان وينظرا خلفهما بحثًا عن حوت، ليلمحاه قادمًا هرولة من بعيد. وما هي إلا ثوانٍ حتى وصل إليهما قائلاً وهو يلهث: آسف إن تأخرت عليكما

كافور: لا تتأسف، لقد وصلت على الموعد، شحبار بصوت لا يسمعه سوى حوت: ما الذي حدث لإصبعك يا حوت؟

حوت والدماء تخرج من تحت الضمادة فوق إصبعه: لا شيء، بعض النقاط من أحداث البارحة

شحبار دون أن يقتنع: حسنًا، ابقى حذرًا يا حوت

حوت: "لا تشغل بالك بي وركز على قضيتك." ليتقدما بعض الأمتار القليلة إلى منتصف السوق ليجدا حشودًا تجمعت لمشاهدة المحكمة. في واجهة السوق، صخرة نقش عليها شكل منبر كبير لم تكن في أول زيارة لحوت، ما يبدو أنها وضعت خصيصًا للمحكمة. خلف هذه الصخرة ثلاث مقاعد ضخمة، جلس في المنتصف كائن من الكائنات التي اعتقد حوت أنها من الفضائيين عندما شاهدها أول مرة في السوق وذلك لوجه الشبه بينها وبين المخلوقات الغريبة التي تظهر في أفلام الخيال. فرأسها الأصلع الكبير وعيونها السوداء الواسعة وجلدها الناعم والأصابع الثلاث في كل يد تطابق تلك الشخصيات في الأفلام. قد أخبره شحبار لاحقًا أنها تعيش في جوف الأرض ويطلق عليهم الرماديون نظرًا للون جلودهم الرمادي. هذه المرة كان أكثر ثباتًا عند رؤيتها، يبدو أنه بدأ يألف شكلها وعلى يمين ذلك الكائن يجلس رجل عجوز ذو لحية تكاد تلامس الأرض يبدو عليه أنه من الإنس ولكنه معمر، وعلى يسار الرمادي يجلس رجل ببشرة حمراء وشعر رمادي طويل تبدو عليه آثار السنين. تعرف إليه حوت سريعًا بأنه من الجن.أمام الصخرة،

وفي الصف الأول من الحشود، يقف رجل من لباسه وحاشيته يظهر عليه أنه رجل مهم. تعرف إليه حوت سريعًا بأنه الملك فرزد. وفي زاوية أخرى رجل راكع ويديه خلف ظهره وسلسلة حديدية تربط يديه بقدميه، عاري الجسد وآثار الجلد والتعذيب ظاهرة على ظهره. شحبار تعرف إليه ونادى عليه: "صيف، هل أنت بخير يا صديقي؟" دون أن يسمع جوابًا من صيف. هرول حوت مسرعًا نحو صيف، وقبل أن يصل إليه، وجد رجلًا ضخمًا يرتدي زيًا عسكريًا من جنود الملك. أغلق الطريق بجسده الضخم ليكون عائقًا بين حوت وصيف قائلاً بصوت أجش: "لا تقترب أكثر وإلا قطعت قدميك." حوت مرعوبًا من شكل الحارس، لكن هذا لم يمنعه من تجاهله. مد يده في محاولة إمساك رأس صيف من خلف جسد الحارس ليجد نفسه معلقًا في الهواء والحارس يرفعه بيد واحدة. ركض شحبار وضرب جسد الحارس ضربة قوية قذفت به بعيدًا. تراجع الحارس عدة أمتار إلى الوراء من قوة الضربة، مسقطًا حوت على الأرض، والجميع ينظر لما يحدث بذهول. عاد الحارس بعد أن أعاد توازنه وبدأ بالركض باتجاه شحبار وحوت،

وقبل أن يصل، صوت صرخة من الصف الأمامي معطيًا أمر بالتوقف. توقف الحارس على بعد سنتيمترات قليلة من شحبار قائلاً: أمرك أيها الملك الموقر حوت يراقب بصمت خلف جسد شحبار ما يحصل. ليوجه حوت كلامه مخاطبًا الملك: "كل الذي نريده أن نطمئن عليه لا أكثر." الملك يومئ برأسه بالموافقة. اقترب حوت وشحبار بحذر باتجاه صيف وبدآ في ضمه والاطمئنان عليه ومحاولة التكلم معه. رفع صيف رأسه بصعوبة، وبلغة التمدن التي اعتاد أن يتكلم بها بتصنع مع حوت قائلاً:

ابن خالي العزيز، ما الذي تفعله هنا يا غالي؟

حوت مبتسمًا: نحاول إرجاعك إلى عنزاتك، فلقد اشتاقوا إليك. ليبدأ بعدها صيف بالبكاء والنحيب، يزداد مصدر الضوء في السماء، ليلتفتوا للأعلى ليجدوا أن الحجر الثالث قد أضاء معلنًا عن بداية المحكمة. يأتي كافور من خلف حوت قائلاً: هيا لنعد إلى أماكننا، حان وقت المحاكمة يا حوت، لا يمكننا البقاء هنا. حوت يتراجع بخطوات ثقيلة مودعًا صيف قائلاً له: "لا تخف، لن أدع أي مكروه يصيبك." ليبدأ في هذه الأثناء

الرمادي بالتكلم بلغة غريبة. على ما يبدو أنه يعلن استفتاح الجلسة. يعود ويتكلم بلغة لسان حوت، شارحًا سبب المحاكمة اليوم، وأطراف القضية وموضوعها. ليختم كلامه بالسماح للشاهد بالبدء بالكلام يتقدم شحبار باتجاه المجلس، وبعد أن ألقى السلام، بدأ بإخبار القصة بالتفصيل بصوت مرتفع وواضح وبكل ثقة. المجلس والحشود مصغية بكل تركيز وصوت شحبار يصدح في السوق. كيف أنه كان شيطانًا ولكن كان يعيش في عالم الإنس، والمشاكل التي بدأت بالظهور مع شعلوة، ومقدار الصعوبات التي عاناها صيف وأهل قريته. كيف كان يهتم بها ويرعاها مع أن الأضرار التي خلفتها كبيرة بحق صيف وأهل قريته. الأضرار نفسية ومادية. كيف شوهت مقبرة الضيعة نتيجة رعيها الجائر وتكسير الأضرحة نتيجة وقوفها المتكرر على المقابر. معاناة صيف باللحاق بها في الليل والاعتذار من أقربائه وجيرانه وتعويضهم بعض الأحيان لتدمير شعلوة معظم حدائق الضيعة وعدم تمييزها بين أزهار نادرة وأعشاب ضارة. كان همها الوحيد الأكل من رأس الشجر واختيار أجمل الأزهار وأكل أوراقها والتبرز أمام أبواب

أهل القرية. ليختم شحبار كلامه بالأحداث الأخيرة التي حدثت لصيف، وكيف كان عائدًا إلى منزله في الليل، وكيف وقفت على حائط المقبرة وأخافت صيف مما اضطره أن يدافع عن نفسه برمي الحجر باتجاه شعلوة وإصابتها. يكمل كلامه بالطلب من المجلس بالسماح لحوت بالتكلم نظرًا لصلة القرابة بينه وبين المتهم وربما لإيضاح شيء لا نعلمه، الكائن الرمادي يهز رأسه بالموافقة. يتقدم حوت للوقوف مكان شحبار الذي غادر مكانه وتمتم قائلاً بصوت لم يسمعه سوى حوت: نل منهم يا صديقي، أرهم معدنك الحقيقي حوت والخوف ظاهر على وجهه: "سأفعل" استهل حوت كلامه بالتعريف عن نفسه وعن صلة القرابة التي تجمعه بصيف، وكيف أن صيف وأهل قريته بسطاء لا يعرفون الأذية بأي شكل من الأشكال. أغلبهم يولد ويموت دون حتى أن يبتعد بضعة كيلومترات عن القرية، والنزول للعاصمة يكون أقصى مسافة قد يقطعونها في حياتهم. ليبدأ بالقول وبصوت مسموع للجميع أن في خلق الله شؤون لا يعرفها إلا هو وتعددت الخلائق والخالق واحد. بعضنا متشابه شكلاً ولكن مختلف مضمونًا، بعضنا مختلف شكلاً

ومتشابه مضمونًا، بعضنا مختلف شكلاً ومضمونًا وبعضنا متشابه شكلاً ومضمونًا. يوجد أمم وقبائل ويوجد المكلف ويوجد غير المكلف. بعضنا عقل بلا غريزة والبعض غريزة بلا عقل وبعض الخلق غريزة مع عقل. يوجد المسير والمخير، والقوي والضعيف. يوجد خلائق لا يعلم بها إلا الله بعضنا يأكل من رزقه ويعبد غيره. نتذكره عند الضراء وننساه عند السراء. من رحمته جعل البهيمة لا تضع حافرها على مولودها، والوحش يخاف على أولاده وجعل الأم تفتدي بنفسها من أجل طفلها. فمن أسمائه الرحمن الرحيم: فالرحمن خص به عباده المسلمين، أما الرحيم فهو لجميع خلقه. صيف من خلق الله وشعلوة من خلق الله. على الرغم من اختلافهما، فهو إنسي وهي جنية، ولكنهما مجرد مخلوقات ضعيفة خلقها المولى لعبادته. خلق الله الإنس خطاءين وليسوا معصومين. صيف أخطأ لأنه حتى لو لم تكن جنية وكانت مجرد عنزة، لم يكن عليه أن يضربها بالحجر ليؤذيها، فهي لا تستطيع الدفاع عن نفسها لو كانت مجرد عنزة. ولكن للأسف صادفت أن تكون تلك العنزة جنية متشكلة هنا يأتي دور شعلوة، فهي أخطأت بحق رجل من الإنس

وفي عالمه، وخالطته وتدخلت في أمور حياته بشكل مباشر. لم تكتف بالوسوسة، بل حتى إنها آذت جيرانه وممتلكاته. صيف إنسان مسلم، ومن حقه الدفاع عن نفسه، حتى لو عنى ذلك الصراع مع الشياطين، بدأت صرخات غضب تأتي من بعض الشياطين التي تقف مقربة من الملك، وآثار الغضب ظاهرة بشكل واضح على وجه الملك. فعلى الرغم من لون جلده الأحمر، تعابيره الشيطانية المخيفة توحي بوضوح أنه غاضب من كلام حوت عندما قال بأن يحق للمسلم أن يقتل الشياطين إن آذوه في عالمه، خاصة إن كانوا متشكلين بهيئة حيوانات سوداء اللون، صرخ أخيرًا الملك فرزد قائلاً: إن استمر في الحديث بنفس هذه الطريقة سنغادر. لتبدأ الصيحات والصرخات، تكلم الإنسي من المجلس قائلاً: ذكر الله يؤذيهم، توقف عن قول تلك الكلمات وتكلم بما تعرفه دون ذكر أسماء ليرد حوت قائلاً: لقد شارفت على الانتهاء. أعيد وأكرر سريعًا بأن ابنتكم هي من دخلت عالمنا وآذت قريبي، لذا هي من تتحمل خطأها، ويجب فك وثاق صيف سريعًا والعودة إلى عالمه. ليغادر حوت متوجهًا إلى الجهة الأخرى من الحشود حيث يقف كافور وشحبار،

وعيون الملك الغاضبة تلاحقه. ظهر الانقسام بين الحشود، فبعضهم وافق على كلام حوت واقتنع به، وآخرون طالبوا بمعاقبة حوت بدل صيف وقتله، وبعضهم اكتفى بالمشاهدة دون اختيار طرف. قال الشيطان الذي يجلس على شمال الرمادي موجهًا الحديث نحو الملك:

هل ترغب بالكلام حضرة الملك بما أنك والد الضحية؟

ليهز الملك رأسه بالموافقة ويتقدم قليلاً، وخلفه يتبعه الحارس الضخم. بدأ بالكلام بأنه يتشكر الرماديين على الاهتمام بابنته، وبما أنها غير موجودة هنا لتدافع عن نفسها بسبب جروحها، فهي خير دليل على أنها تعرضت للغدر، قال الملك بأنه يطالب بأخذ صيف ليعدمه في مسقط رأس ابنته انتقامًا لمصابها، خاتمًا كلامه بانتظار حكم المجلس، بدأ

المجلس بالتشاور قليلاً، وعلى ما يبدو كان هناك خلاف بين الشيطان والإنسي في المجلس. نقاشهما الحاد جعل الجميع ينظر إليهما، ليتكلم الرمادي معهما كأنه اقترح شيئًا ونال موافقتهما. ليهزا رأسيهما بالموافقة، ليهز رأسه هو بالمقابل، ومن ثم يبدأ بالتوجه بالكلام نحو الحشود قائلاً: بعد اجتماع أعضاء المجلس الموقر، تم الاتفاق على ما يلي: مادامت شعلوة لم تمت بعد، لا يمكن إعدام صيف، وربما قد تطول حالتها لسنوات. لذا سيترك مصير المتهم صيف إلى نزال ينتهي بالموت أو الحياة، ليكون للقدر الحكم النهائي في هذه القضية عاجلاً غير آجل لتبدأ صرخات الحماس تعلو من الحشود، وعلامات الفرح ظاهرة على وجه الملك وجموعه. حوت يلتفت تارة يمينًا وتارة يسارًا محاولاً فهم القرار. كافور وضع يده على رأسه بعد سماع الحكم. شحبار يقف شاردًا كأنه جسد خاوٍ

حوت يصرخ: أرجوكم، ليشرح لي أحدكم ما الذي يعني هذا؟ ما الذي حدث؟

ليرد كافور أخيرًا: سيكون هناك قتال حتى الموت بين صيف وأحد الأشخاص ممن يختارهم الملك. إن انتصر صيف سيغادر، وإن خسر سيموت هنا، ويحق للملك بأخذ جثة صيف معه

حوت والعرق يتصبب منه: هذا يعني بأن صيف سيموت، لا يمكنه مواجهة شيطان، إنها نهاية صيف خاصة وجسمه مرهق لا يستطيع حتى الوقوف، كيف سيقاتل؟! حوت المنهار يستمر بالتكلم مع نفسه، تارة بصوت منخفض، وتارة يصرخ ويضرب كفيه ببعضهما البعض ويقول: سيموت صيف. يستمر في هذه الحالة حتى تكلم

شحبار قائلاً: سأقاتل عن صيف

حوت رافعًا نظره للأعلى: ماذا قلت؟

شحبار: سأقاتل عن صيف، سأقاتل عنه وسأنتصر

كافور بصمت كأنه كان متوقعًا هذا الفعل

حوت وبعد أن هدأ قليلاً: هل يمكنك فعل هذا؟ لكن ستموت أنت بدل صيف، يجب أن تجد حلاً آخر

شحبار: لا يوجد حل آخر، علي أن أقاتل مكان حوت. هذا أقل ما يمكنني أن أقدمه له

حوت: متى موعد النزال؟

كافور: بعد دقائق من الآن. ألا تشاهد الحماس على وجوه الحشود؟

بل زاد عددهم أيضًا، فهم الآن سيشاهدون عرضًا دمويًا مجانيًا

حوت: ما هذا التخلف؟ يجب أن يكون هناك حل آخر أو طريقة أخرى لحل الأمور دون دماء

شحبار: لا يوجد، علينا القبول بالأمر الواقع. كما أنني مستعد لكافة النتائج

كافور، مخرجًا زجاجة صغيرة من حزامه يوجد بها سائل أخضر، مقدمًا إياها لشحبار: اشرب هذه

شحبار: ما هذه أيها المشعوذ؟ لا أريد شيئًا منك

كافور: اشربها يا أجرب، ستساعدك في قتالك. ستشحذ حواسك وتزيد من كثافة تشكلك وتعجل شفائك في حال إصابتك لتكون أقوى في القتال

شحبار ممسكًا القارورة: لا يهم، في الحالتين قد أموت اليوم. ليقربها من فمه ويشرب الزجاجة، ويبدأ بالاستعداد للنزال

حوت: هل يوجد شروط معينة؟

ًكافور: نعم، عليه أن يحاول ألّا يموت أولا

شحبار مبتسمًا: "تمنوا لي الحظ، قد أحتاجه." ليتقدم بعدها نحو المجلس معلنًا عن استعداده، وبأنه سيكون المقاتل نيابة عن الإنسي

الفصل العاشر - النزال الأخير

تفاجأ الملك من قرار شحبار بالقتال نيابة عن الإنسي، ليصرخ معارضًا مطالبًا المجلس برفض طلب شحبار، محتجًا باختلاف الأجناس. فالإنسي المتهم لا يمكن أن يمثله مقاتل من الجن. ولكن الرمادي رفض قرار الملك بحزم قائلاً بأنهم جميعًا مخلوقات، حتى لو اختلفوا بالنوع والأصل، ولكن تجمعهم صفة المخلوق. عيناه على حوت، وكأن الفضل ينسب له. على ما يبدو اقتنع الرمادي بكلامه خلال الدفاع عن صيف

وله الفضل في تذكيرهم بأنهم مجرد مخلوقات ضعيفة لا حول ولا قوة لها. غضب الملك من جواب الرمادي ولكنه حافظ على هدوئه. تكلم أخيرًا الحارس الضخم الذي لا يبتعد عن الملك قائلاً: مع احترامي لك، لكن أظهرتنا بصورة الخائفين من النزال، أضعف جندي لدينا سيمزقه

الفرزد: لا تستهن به، ألم تر قوته عندما ضرب أحد أقوى حراسي؟ لقد دفعه عدة أمتار وكأنه دمية متحركة. ماذا لو انتصر؟ هل يذهب دم أختك هدراً يا جبل؟

جبل: لهذا أنا من سيقاتله، لن أترك له أي فرصة لأن يفوز وينجو

الفرزد: وهو كذلك، وأنت أحق بالقتال من أي شخص، وعليك تذكير نفسك طوال مدة النزال بأن الضحية تكون أختك الوحيدة، سيمنحك دافعًا خلال القتال

جبل مزمجرًا: سأجعله عبرة لكل من يفكر في أن يدافع أو يتعاطف مع الإنس، تراجع الحشد إلى الوراء قليلاً إفساحًا للمجال للمقاتلين للنزال.

اقترب شحبار من المجلس معلنًا عن استعداده، ومن ثم رجل ضخم يفوق شحبار طولًا وضخامة يقترب من المجلس معرّفًا عن نفسه بأنه

الأمير جبل، ابن الملك الفرزد، وهو سيمثل الأميرة شعلوة في القتال والدفاع. رحب به المجلس وطلبوا من المقاتلين التقيد بالقوانين التي تخص النزال. الرمادي يعيد القوانين لتذكير المقاتلين والحشود بها، وهي: ممنوع قراءة التعاويذ أو الاستعانة بساحر للتأثير على الخصم، ممنوع التشكل لأي نوع من الحيوانات، ممنوع الاستعانة بأي مخلوق أو قوى خارجية، ممنوع الطيران، الجسد الذي سيختاره المقاتل للتشكل به لا يمكن تغييره حتى انتهاء النزال، ممنوع التحول للشكل الناري الحقيقي حتى ولو كان المقاتل على مشارف الموت، ينتهي النزال بموت أحد المقاتلين. أومأ الإثنان رأسيهما بالفهم، وعيونهما السوداء الخالية من البياض محدقة بالآخر. أصدر الرمادي صوتًا أشبه بصوت الرعد معلنًا عن بداية النزال. حوت يغطي عينه بكف يده والعين الثانية يشاهد بها من بين أصابعه، كافور واقفًا واضعًا كفيه فوق بعضهما على رأسه والقلق ظاهر عليه، بدأ القتال بالتحرك بشكل دائري بخطوات بطيئة وأجساد متقابلة. كسر شحبار هذا التحرك سريعًا بالقفز بعد أن ارتفع عدة أمتار في الهواء، ليهبط على جبل الذي بقي واقفًا منتظرًا

سقوط شحبار عليه. قبل وصول شحبار بقليل، تحرك جبل إلى الجهة المقابلة بسرعة شديدة جعلته كأنه اختفى من مكانه، ليهبط شحبار على الأرض مصدرًا صوتًا قويًا كأن نيزكًا اخترق السطح. التفت شحبار ورائه ليجد ركلة من جبل بانتظاره، جعلته يتقلب عدة مرات على الأرض. وضع شحبار يديه على الأرض محاولاً النهوض، ليقفز جبل في الهواء ويهبط على ظهر شحبار ليسقط مجددًا ووجهه يلامس الأرض بقوة، وقف جبل شامخًا وهو ينظر للحشود بغرور كأنه يستعرض قوته. بدأ الجمهور بالتفاعل معه بالاحتفال والصياح، وهو يقترب منهم قليلاً رافعًا يديه بإشارة منه لزيادة الصريخ باسمه. ولكن صمت الجمهور المفاجئ جعله يستدير مسرعًا، ليجد شحبار واقفًا خلفه والغضب ظاهر عليه، وأنفاسه الثقيلة يخرج معها دخان لشدة لهثه.

قبل أن يبادر جبل إلى ردة فعله، وجد لكمة أشبه بالرصاصة من سرعتها تسكن في بطنه. أصدر صوت اختناق وانحنى أمام شحبار يتلوى من الألم. لحق شحبار اللكمة بركلة من ركبته لرأس جبل المنخفض من أثر اللكمة الأولى، ليرتفع جسد جبل في الهواء قليلاً

ويسقط على ظهره ويديه الضخمتين على طولهما، وقف شحبار فوق جسد جبل الذي لا يتحرك، ثم انخفض واضعًا قدميه قرب صدر جبل، ممسكًا رقبة جبل بيده اليسرى ليثبت رأسه ويده اليمنى على شكل لكمة تنزل بقوة على وجه جبل. أعاد الأمر عدة مرات، ولكمات تنهال على وجه جبل الأشبه بالميت. حوت يقفز من الفرح ويصرخ: "اقتل الشيطان، اقتل الشيطان، لا تتوقف!" والملك ينظر بغضب نحو حوت الذي بدأ بالاحتفال باكرًا، ردة فعل الملك الهادئة أثارت قلق كافور، فعلى الرغم من اللكمات المتساقطة على وجه ابنه، ولكنه صامت بشكل مريب، بالعودة لساحة القتال، يبدو شحبار مسيطرًا على مجرى القتال، فلكماته المتتالية دون توقف على وجه جبل وتطاير مادة لزجة سوداء أشبه بالدماء من فم وأنف جبل وبعض الجروح من وجهه أعطت انطباعًا للجميع بأن النزال شبه محسوم لشحبار. بدأت لكمات شحبار تتباطأ من التعب وتصبح يده أثقل. جبل الذي لا يفعل شيئًا سوى استقبال الضربات تكلم فجأة، وبعيون مغمضة ووجه مدمى قائلاً: ألم تنتهي بعد يا كلب؟ مع ابتسامة مخيفة على وجهه شحبار ليتوقف فجأة

محاولاً استيعاب كيف يمكنه التكلم بعد كل هذه اللكمات، ليرفع شحبار يديه الإثنتين بعد أن شابكهما على شكل قبضة واحدة إلى الأعلى، وينزلها بسرعة على وجه جبل الذي أمسك بالقبضة قبل أن تصل لوجهه. بحركة سريعة جذب جسد شحبار باتجاهه، ليوازي رأس شحبار رأس جبل ويدين شحبار خلف ظهره، ممسكًا بهما جبل كأنه يحضنه، وصدر شحبار ملاصقًا لصدر جبل. حاول شحبار التفلت بالتحرك بجسده ويديه، ولكن لم يستطع. وجه شحبار ملامسًا الأرض ويديه مقفول عليهما بقوة من جبل بحركة إخضاع لا يمكن الهرب منها، حوت بصمت وفم مفتوح كافور بعيون دامعة يعض على شفتيه.

الملك ينظر بابتسامة خبيثة. الحشود تشاهد بصمت

جبل هامسًا في أذن شحبار: "حان دوري الآن يا كلب." لينهي كلامه بعضة من أذن شحبار جعلت أذنه تخرج في فم جبل، ليبدأ بمضغها محاولاً ابتلاعها. شحبار يصدر صرخة من شدة الألم جعلت حوت يسقط على ركبتيه من الخوف، شحبار على الأرض، ممسكًا الجرح مكان أذنه ويتلوى يمينًا ويسارًا بعد أن أفلته جبل الذي يقف قرب شحبار ويدور

حول جسده المتلوي وكأنه يستمتع بآلامه. يقترب جبل من جسد شحبار ويحمله رافعًا إياه عن الأرض ليحوطه بذراعيه ويبدأ بالشد وكأنه يعصره. صوت تكسير أضلاع شحبار جعل جبل يزيد من ضغطه، وصراخ شحبار يزداد مع كل ضلع ينكسر. فتح جبل يديه عن جسد شحبار الذي سقط على الأرض أشبه بالميت. حوت يصرخ بالتوقف ولكن دون جدوى. يقترب حوت من كافور قائلاً: "ألم يخبرنا شحبار بأن لديه قبيلة تحميه؟ أرجوك استدعيها بسرعة قبل أن يموت." ليرد عليه كافور بأن هذا النزال رأس برأس وقد اختاره شحبار في محض إرادته لذا لا يمكن لقبيلته التدخل في هذه الحالة. بل يعتقدون بأنهم سيلحقون به العار إن تدخلوا، وإن مات سيكون بطلاً لأنه مات بقتال مشرف

حوت: إذا سيموت هكذا بكل بساطة؟

كافور: "كان يعلم ذلك واختار القتال، لنحترم قراره الشجاع" يمسك جبل برأس شحبار المستسلم، يضع رأس شحبار قرب رأسه على كتفه الأيمن ويضع يده اليمنى فوق جبهة شحبار وكأن رأس شحبار متكئ

على كتف جبل الأيمن وعيون شحبار السوداء باتجاه الأعلى. يبدأ جبل بالشد والعروق بدأت تظهر على رقبة شحبار، فعلى ما يبدو جبل يريد أن يقتلع رأس شحبار في هذه الحركة. حوت ينظر للأرض من هول المنظر، الحشود تشاهد ولا تصدر أي صوت، كافور متمتم بصوت منخفض: "يا لها من نهاية حزينة يا صديقي." جبل يشد من قبضته أكثر، شحبار يحاول رفع يديه للمقاومة لكن من دون جدوى. جبل يضيق الخناق أكثر ويزيد من الشد على عنق شحبار. شعر حوت يتطاير فجأة كأن نسمة رياح هبت بجانبه. غبار يتطاير بين الحشود وساحة النزال، الجميع يحاول النظر بصعوبة لمعرفة ما الذي يحدث، ما هذه الرياح؟ الكل بانتظار انقشاع الغبار المفاجئ الذي غطى ساحة النزال. بدأت الرياح بالهدوء وساحة القتال بدأت بالظهور مجددًا. الكل ينتظر ويتساءل عن سبب هذا الريح المفاجئ وماذا حدث للمقاتلين.

حوت يختلس النظر بخوف متوقعًا رؤية شحبار من دون رأس. بدأت الأجساد التي كانت في الساحة تظهر للعيان بعد انقشاع الغبار وهدوء الريح. يوجد جسد ثالث إضافة لجسد شحبار وجبل. شعر أحمر طويل

يغطي جسد فتاة طويلة، بيضاء البشرة، عيون حمراء، وجه جميل وصاف ببشرة ناعمة، ترتدي ثياب شفافة تظهر مفاتنها بكل وضوح. على ما يبدو هناك فتاة تقف في ساحة القتال الكل يتساءل من هذه الفتاة، ومن أين أتت، وكيف ظهرت فجأة بهذه السرعة بعد هدوء الرياح. كافور يتكلم مع نفسه بصوت مسموع: من هذه الفتاة الجميلة، هل أتت مع الرياح؟

حوت بجانبه مستمعًا له: بل هي من سبب الرياح، على ما يبدو بأنها شعلوة، يا له من دخول سينمائي

كافور: ماذا!! أتقول هذه السيدة الجميلة هي الأميرة شعلوة؟ لطالما سمعنا عن جمالها وقوتها، لكن هذه أول مرة نراها، شعلوة تقف في وسط النزال وشعرها الأحمر يتطاير بالهواء، ممسكة بيد جبل وتبعدها عن رأس شحبار الذي سقط على الأرض سريعًا بعدما أزاح جبل يده عن عنقه، جبل محدق بشعلوة قائلاً: "أختي، أنت بخير، كيف ذلك؟

شعلوة: سرني رؤيتك أيضًا، أهكذا تستقبلني؟

جبل مبتسمًا: "سرني رؤيتك من جديد." ليتقدم ويحتضنها

شعلوة وهي تبادله العناق: ما سبب عراكك مع الكلب؟

جبل: أنت السبب، إصابتك جعلت المحكمة تصدر قرارًا انتهى بنزال حتى الموت

شعلوة: ولكن ليس الكلب من آذاني

جبل: أعرف، إنها قصة طويلة، المهم الآن أنك بخير

شعلوة تقترب نحو جسد شحبار لتسأل جبل: "هل هو بخير؟" جبل يجيبها بأنها أنقذته في اللحظات الأخيرة، فهو كان على وشك اقتلاع رأسه، وبأنه يعاني بعض الإصابات لكنه سيكون بخير بينما شعلوة تتبادل السلام مع أخيها جبل ووالدها، يصرخ حوت مقاطعًا كلام شعلوة مع عائلتها بعد أن تقدم أمام منبر المجلس قائلاً: الأميرة بخير وهي أمامكم بأحسن ما تكون، وعلى ما يبدو لا يوجد أي ضرر جسدي أو عقلي. لذا أطالب المجلس الموقر بإعلان نهاية هذه القضية وإخلاء سبيل صيف. أما الإصابات الخطيرة التي تعرض لها صديقنا شحبار، سوف نعتبرها واحدة بواحدة مقابل الأضرار والإصابات السابقة التي لحقت بالأميرة شعلوة

لترد شعلوة بتجهم: من هذا اللعين الذي يتجرأ ويقاطعنا ويتكلم دون أخذ الإذن أو الركوع أمامنا حتى؟

جبل: إنه من الإنس، من أقرباء صيف. أنا أيضًا ذقت ذرعًا من أسلوبه الوقح ونفد صبري منه

شعلوة: إنسي قذر ولديه كل هذه الجرأة للتطاول علينا وهنا في هذا العالم! لتصرخ عليه بصوت رجولي عكس منظرها وجسدها الأنثوي قائلة: "أصمت قبل أن آتي إليك وأجعلك تصمت للأبد أيها الدودة."

حوت بكل برودة: من تنادي بالدودة يا عنزة؟ في عالمك أميرة، لكن في عالمي أنت مجرد معزاة وبقدم معاقة وأسنان مفقودة يا قبيحة. تشكلك هذا لا يغريني يا محبة النفايات، نعم شحبار أخبرني كل شيء

كافور متمتمًا: أرجوك أصمت، سنموت، توقف أرجوك، دعنا نذهب.

شظية وعلامات الغضب تظهر عليها وشعرها الأحمر بدأ بالتطاير في الهواء كأنه لا ينطبق عليه قوانين الجاذبية، وعيونها الحمراء بدأت تتحول للون أحمر ناري. ليقطع هذا التحول صوت أشبه بالرعد خرج من الرمادي ليعلن نهاية النزال، ليخطب قائلاً: بعد أخذ كلام السيد حوت

بالحسبان والقياس عليه وبعد التأكد من سلامة الأميرة، اتفق المجلس وبالإجماع على انتهاء القضية وبإخلاء سبيل الموقوف فورًا والسماح له بالعودة للسطح، ونتمنى السلامة لجميع الأطراف. ليشير لبعض الحراس الواقفين خلف المنبر بأخذ جسد شحبار للعلاج، يقف ويهم بالمغادرة مع إيماءة بالرأس أشبه بالتحية لحوت الواقف قرب المنبر. ينحني معظم الحشود احترامًا للرمادي ليبدأ المنبر فجأة بالاختفاء شيئًا فشيئًا، تاركًا ساحة السوق للحشود وعلى رأسهم الملك وحراسه وأمامهم شظية. في المقابل، وعلى بعد أمتار قليلة، يقف حوت الذي يتبادل النظرات معها. كافور ذهب ليفك قيود صيف ليعود مسرعًا وصيف يتكئ عليه ليقفوا جنب حوت قائلين له: هيا يا حوت، لقد انتهينا من هنا، هيا لنعد

حوت يدخل رأسه تحت ذراع صيف ليتكئ عليه أيضًا: "لنعد للمنزل، والدتك بانتظارك." يمشي الثلاثة وكأنهم يهربون من شيء، ويخطون خطوات سريعة أشبه بالهرولة

ليوقفهم صوت قوي قادم من الخلف: "إلى أين تظن نفسك ذاهبًا أيها الدودة؟" حوت يغمض عينيه قليلاً مع تنهيدة كأنه كان يتوقع حصول هذا، ليتكلم همسًا مع كافور: هل تتذكر الطلسم الذي وسمتني به؟

كافور بتلعثم مستغربًا بمعرفة حوت بأنه طلسم وسم وتقييد، يحاول التبرير ليقاطعه حوت قائلاً: لا يوجد معنا وقت يا مشعوذ، أجبني، هل تتذكر قراءة الطلسم؟

كافور: نعم، حافظ طريقة نطقه أيضًا

حوت: جيد، عندما أعطيك إشارة اقرأ الطلسم وقم باستحضار الشيطان صاحب الطلسم

كافور باستغراب: هل جننت؟ قد يصيبك الشلل أو يقتلك، لن تتحمله، نقشته على أصبعك لأستغلك ببعض الأمور لجلبها لي من السطح، لكن عندما تعرفت بك وعلى جوهرك ندمت

حوت: لا بأس، أتفهمك، فالمشعوذ من الصعب أن يغير عاداته.

اسمعني جيدًا، عندما أعطيك الإشارة اقرأ التعويذة، هل تفهم؟

كافور بصمت

حوت: أرجوك أعطني وعدًا بأنك ستنفذ ما قلته لك

كافور والدموع تتساقط على وجنتيه السمراء: حسنًا، لك كلمتي

حوت بابتسامة مصطنعة يلتفت سريعًا نحو الصوت: الأميرة شظية، الحمد لله على سلامتك. قلقنا عليك جدًا، أريد الخروج مسرعًا للسطح حتى أقوم بتوزيع حلوى الراحة مع البسكويت بمناسبة شفاء الأميرة .

شظية: الآن أصبحت أميرة؟ ألم أكن معزاة منذ قليل؟ كما أن اسمي ليس شظية، بل اسم تحولي أطلقه علي الراعي القذر. ما زلت مصرًا على إهانتي؟ حوت يبتعد قليلاً عن كافور وصيف ويتقدم باتجاه شظية وعائلتها: العفو، حضرة الأميرة، لم أتشرف بمعرفة اسمك، ولكن شظية اسم جميل يليق بأميرة جميلة مثلك

شظية والغضب بدأ يظهر عليها: لا تتملقني بلسانك وألاعيبك الإنسية القذرة، لست بغبية. وإن كان دخولك لهنا باختيارك، سيكون خروجك باختياري، هذا إن خرجت أيضًا

حوت يبتلع ريقه: لكن يا أميرتي المعزاة... آسف، أقصد يا أميرتي شظية لتقطع كلامه بزمجرة مخيفة، وبغمضة عين، قفزت لتصبح على

مسافة ذراع منه، لتحمله من رقبته بيد واحدة وترفعه إلى الأعلى.

ليصرخ كافور: الرحمة يا سيدتي، أرجوكِ أن تعفي عنه، فهو عامي جاهل لا يعرف مقامكم

شظية: "سيعرف الآن وسيتعلم معنى الاحترام لمن هم أعلى مكان"

حوت بوجه أحمر من شدة ضغط شظية على رقبته وابتسامة صغيرة ما زالت على وجهه

كافور: ولكن المجلس أعطانا الأمان وسمح لنا بالخروج

الملك فرزد: أتهددنا بالمجلس أيها اللعين؟ ألم تعلم بأن سبب سكوتنا كان حرصنا على مداواة الأميرة، فأطباء الرماديين هم من كانوا يداوها والآن بعد شفائها وعودتها لنا، لا يهمنا لا مجلس ولا رماديون .

كافور: أرجوك أيها الملك، أرجوك اعف عنه

لتقاطعه شظية قائلة: اصمت يا مشعوذ، دورك هو القادم عندما أنتهي منه.. يتكلم حوت بصوت غير مفهوم. لترخي شظية قبضتها قليلاً: هل لديك ما تقوله قبل موتك يا دودة؟

حوت: بصوت منخفض مع بعض السعال أنا أنقذتك.

شظية: "ماذا؟" وترخي قبضتها أكثر

حوت: أنا أنقذتك، عندما كنتِ بين الحياة والموت وبما أنك من أميرات الشياطين، كنت أعرف أن علاجك هو بعض الدماء من إنسي. لذا أرسلت إحدى الجنيات الخادمات لتتسلل ومن دون أن ينتبه لها الأطباء، ببعض من دمي لتقطره في فمك. وفعلاً تم شفاؤك، وعلى ما يبدو دمي قوي حتى عدتِ بهذه القوة. قالها حوت وابتسامة غبية على وجهه. لترخي شعلوة قبضتها أكثر ويبدو عليها آثار التفكير ليكمل حوت كلامه قائلاً انظري، ليرفع يده ويفك الضمادة التي كانت على إصبعه ليظهر إصبعه الخنصر مقطوع من طرف الأظفر، وعلى ما يبدو الجرح جديد فآثار الدماء لم تجف عليه بعد والجرح لم يلتئم. ليكمل كلامه: "هذا هو الدليل على ما أقول." وابتسامته البلهاء زادت لتنزل شظية يدها عنه وتوجه له سؤالاً باستغراب: لماذا؟

حوت يفرك رقبته ويلف رأسه يمينًا ويسارًا كأنه يتأكد بأن عضلات رقبته بخير بعد هذا الضغط الشديد. لينظر باتجاه كافور ويهز رأسه، فهم كافور سريعًا أنها الإشارة لكنه ما زال متردد قليلاً بقراءة التعويذة

التي كانت مكتوبة على الطلسم واستدعاء الشيطان. فهو ما زال لم يفهم سبب طلب حوت العجيب. بالعودة إلى حوت، يبدو أنه أثار فضول شظية فهي تقف أمامه تستمع له وتتأمل مخارج حروفه بعيونها الحمراء الكبيرة وذهاب اللون الأحمرالناري من عيونها دليل على أنها هادئة وليست غاضبة، حوت يكمل كلامه قائلاً: ترعرعت وأنا أتمنى رؤية أحد من عالم الجن، وكنت أتخيل كيف سيكون أول لقاء بيننا. قرأت طلاسم وتعاويذ ورسمت أشكال عدة والنجوم الخماسية والشموع والأحرف المتقطعة لكنها كلها كانت من دون جدوى. مجرد بعض الأشكال السوداء أو قليل من الظلال التي كنت أراها بطرف عيني وبعض الحوادث والأمور السيئة التي كانت تتكرر بين الحين والآخر. ولكن فجأة، في إحدى الليالي وبعد احتفالي بعيد ميلادي الرابع عشر، حصل لي أمر غير حياتي. ولكن على عكس توقعي، كان أثناء نومي وتحديدًا داخل أحلامي. كان عبارة عن حلم تمنيت أن يكون حقيقة. كنت أقود دراجة بحر، لا أعرف إذا كنت تعرفين معنى دراجة بحر. هي عبارة عن دراجة نارية ولكن تكون سريعة وتتسع لاثنين وتمشي على

الماء عند الضغط على مقبض اليد وتكون سريعة شظية تستمع بإصغاء كأنها مسحورة من كلام حوت البسيط، ولكن أسلوب سرده وطريقة إلقائه تمنح الثقة للمستمع وتجعله يقتنع بأن ما يسمعه حقيقة وليس كذب، الملك فرزد وجبل على بعد أمتار مستغربين سبب هدوء الأميرة المفاجئ، ولكن مادامت هادئة هكذا لا داعي لتعكير مزاجها وليس لديهم مشكلة في الانتظار على الجانب الآخر، كافور ما زال مستغربًا مما يراه وسبب هدوء شظية، وما زال مترددًا بقراءة التعويذة، وصيف يقف بصعوبة دون كلام. حوت يكمل كلامه ويشرح لشظية عن الدراجة البحرية، وهي تومئ رأسها بأنها عرفت ما هي. ليكمل حوت كلامه بأنه كان داخل المنام يركب على هذه الدراجة، وخلفه تركب امرأة جميلة لم يرَ بجمالها أبدًا، ولا حتى في الأفلام الأجنبية. شعرها أصفر بلون الشمس وترتدي بدلة من قطعة واحدة من جلد أسود يغطي جسدها كله ما عدا صدرها المكشوف قليلاً. وبأن هذه المرأة كانت تطلب منه أن ينقذها وتحضنه من الخلف وكأنها تريد الهرب معه فقط. ويكمل حوت بأنه يهرب مع هذه المرأة بعيدًا ليعيش في كوخ على

جانب بحيرة، ليتزوجا ويتبادلا القبل قرب هذه البحيرة عند الغروب. لكن فجأة يستيقظ حوت من نومه ليجد بأن هذه الفتاة مجرد نسج خياله، لأنه كان في مرحلة البلوغ وتكون هذه الأحلام طبيعية في هذا العمر. وفعلاً عندما استيقظ حوت وجد نفسه قد دخل مرحلة جديدة وبأنه أصبح مراهقًا لم يعد طفلاً ويكمل حوت كلامه بأنه شعر بضيق شديد في الأيام التالية لهذا المنام، وكان شبه متيقن بأن من كانت في المنام من الجن وليس مجرد حلم عابر أو أضغاث أحلام. ليعود ويكثف من طقوسه في محاولة التواصل مع العالم الآخر. وبأنه قضى الأعوام الثلاث التالية من بعد هذا المنام في محاولة العثور على تلك الفتاة. بعدما كان هدفه التواصل مع العالم الآخر، أصبح هدفه الآن العثور على جنية تشبه من رآها في المنام، لأنه متأكد لا يمكن أن يجد في جمالها في عالمه الإنسي ليسكت حوت فجأة وينظر للأرض مع ابتسامته المعتادة لتتكلم شظية قائلة: "لماذا توقفت؟ أكمل، ما الذي حدث؟ هل وجدتها؟" حوت ينظر باتجاه كافور مجددًا ويهز برأسه بطريقة لا تنتبه لها شظية، ليعطي الإشارة لكافور مجددًا باستدعاء شيطان الطلسم،

كافور يهز رأسه بأنه لا يستطيع أن يفعلها لاعتقاده بأنه سيؤذي حوت، ليتكلم صيف بشكل مفاجئ موجهًا كلامه لكافور قائلاً: افعل ما أمرك حوت به

كافور باستغراب: هل أنت غبي؟ هل تعرف ما الذي يريده وما يمكن أن يحصل له إن قرأت التعويذة؟

صيف: ألم ترَ كيف يماطلها في الكلام، إنه ينتظرك. افعل ما أمرك به قبل أن تقتله الشيطانة

كافور: لا يبدو بأنها ستقتله، ولن أخاطر بحياته بقراءة التعويذة

صيف: ستقتله وستقتلنا أيضًا، حوت ذكي، يعرف ما الذي يفعله، فهو دائماً يسبق الجميع بخطوة. طالما طلب منك ذلك، افعل ما أمرك به ولا تنسى أنك وعدته

كافور: وعدي مجرد كلمة قلتها كي لا أجرحه

صيف: كلمة؟ هل تستهين بالكلمة؟ هل الرجل يمتلك غير الكلمة؟ الحرب تبدأ بكلمة، السلام يعم بكلمة، فرح الفؤاد بكلمة، تفرح الناس بكلمة، وتحزن بكلمة. العقود والمعاهدات كلمة، البغضاء والكره كلمة،

النفاق كلمة، الحب كلمة، الصدق كلمة، الكذب كلمة. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكلمة. كل أفعالنا وأعمالنا هي كلمة. بكلمة قد تدخل الجنة، وبكلمة قد تدخل النار سبعين خريفًا

كافور: حسنًا، توقف، فهمت أهمية الكلمة. لا داعي لمحاضرة من راعي ماعز عن أهمية الكلمة. سأتلو التعويذة على مسؤوليتك ليبدأ كافور محاولاً تذكر الكلمات التي كتبها في الطلسم. فهو في العادة يقرأها على الجلود التي تكتبها خادماته، فلا يوجد داعٍ لحفظ طلسم كل شخص، فالطلاسم كثيرة ولغتها ليست سهلة. يغمض عينيه كافور ليركز أكثر ويبدأ بقراءة الطلسم مع حركات معينة بيده. على ما يبدو ما زال متذكرًا طريقة نطق الطلسم الذي كتبه على إصبع حوت في هذه الأثناء، ما زال حوت يماطل مع شظية، فهو يعرف متى يتوقف عن الكلام سيموت ليكمل حوت الكلام بعد إصرار من الأميرة على معرفة ماذا حصل له خلال مرحلة بلوغه ومراهقته ومحاولته التواصل مع العالم السفلي. يأخذ حوت نفسًا عميقًا ليكمل قائلاً: بعد محاولاتي العديدة وقراءتي للكثير من كتب السحر المعروفة وغير المعروفة، ومع

استمرار المشاكل في حياتي، بل تزداد كلما تعمقت في هذا العالم، حدث معي شيء جعلني أتوقف وأندم. فلقد اكتشفت أن سبب عدم رؤيتنا لشكلكم الحقيقي ولعالمكم ليس نقص لدينا أو ضعف

شظية: ما السبب إذاً؟ إن لم يكن مجرد ضعف وقلة حيلة

حوت: ينظر بعينيها مع ابتسامة تختلف عن باقي الابتسامات التي كان يرسمها على وجهه من قبل، فهذه الابتسامة أكثر جدية وتعطيه بعض الهيبة. ليكمل كلامه: السبب هو رحمة، نعم رحمة. فبعد بحثي الطويل، أخيرًا اكتشفت أنه من رحمة الله بعباده حجب عنهم عالمكم الشرير وأشكالكم القبيحة والمرعبة، وجعلنا لا نراكم على حقيقتكم. وأقصى ما تستطيعون فعله هو الوسوسة فقط. يكفي قول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) وقوله أيضًا: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) لتبدأ عيون شظية بالتحول للون الأحمر الناري مجددًا ويبدأ شعرها بالتطاير في الهواء. فهي غضبت من ذكر الله أمامها لتقول لحوت بكل خبث: سوف تشاهد الآن الكيد الضعيف كيف يكون

حوت والثقة ظاهرة عليه وبعيون دامعة وحواجب عاقدة، يقترب من وجه شظية حتى كاد يلامس وجهها ليصرخ فيها قائلاً: "بسم الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم." ليرفع يده اليمنى في الهواء إلى فوق رأسه وينزلها بلطمة على وجه شظية جعلتها تركع على الأرض من قوتها، شظية تركع على قدميها تنظر للأرض تحاول فهم ماذا جرى لها. صرخة من الملك كمن طعن في قلبه. جبل ينظر لا يصدق ما الذي يراه، هل حقًا أخته القوية قد لطمها إنسي؟! كافور يفتح فمه مصدومًا يتوقف قليلاً عن قراءة الطلسم ليبادره حوت النظر بعيون دامعة كأنه يودعه، ليعود ويكمل قراءة الطلسم بسرعة. صيف ينظر مع ابتسامة ويرفع جسده المصاب ليقف مستقيماً كمن يشعر بالفخر بما رأى

تعود شظية للوقوف بسرعة، وشعرها الطويل المبعثر يغطي وجهها وعيونها الحمراء ظاهرة من تحت الخصلات. ترفع يدها اليمنى التي برزت فيها مخالب سوداء لم تكن ظاهرة من قبل، أشبه بمخالب الدب البني. وعلى ما يبدو ستغرز تلك المخالب في وجه حوت الذي يقف

كأنه تقبل مصيره. حركت شظية مخالبها في محاولة منها لغرزها في عيون حوت، لتقف يدها أمام وجهه من دون أن تتحرك كأنها تجمدت فجأة. حوت ينظر لها باستغراب. صمت مخيف من الجميع وكأنهم فقدوا النطق. علامات خوف وصدمة ظاهرة على وجوه الجميع. حتى الملك وجبل والحراس نفس التعابير التي توحي وكأنهم شاهدوا شيئًا غير عادي ومخيف حوت يتأمل في وجوههم مستغربًا لماذا الجميع ينظر إليه هكذا، ما الذي حصل؟ ينظر حوت لشظية الشبه متجمدة ليرى في عيونها الحمراء انعكاس لظل أسود ضخم على شكل جسد يقف خلفه يبتلع ريقه حوت ويتردد هل يلتفت أو يبقى دون حركة، هل يركض أو ينخفض؟ ليقرر فضوله المعتاد عنه ويلتفت للخلف ليصدم برؤية جسد لرجل ضخم يوازي ثلاثة رجال في الطول، وغطى جلده الأحمر حراشف مثل الذي على جلد الثعبان وبعض الآثار لجروح قديمة وكبيرة، وبعض النتوءات كالثآليل تخرج من وجنتيه وجبينه العريض، وبعض الشعيرات الطويلة التي يمكن عدها على الأصابع موزعة على رأسه الضخم. ينظر حوت بخوف لثوانٍ قبل أن يدير وجهه نحو كافور ليتكلم

مع نفسه: أخيرًا فعلتها يا مشعوذ... تأخرت لكن فعلتها في النهاية وقرأت الطلسم كافور الذي يقف بجانب صيف لا تختلف نظرتهم عن الباقيين، فنظراتهم خليط من الخوف والصدمة، صيف يسأل كافور عن هذا المخلوق القبيح والمرعب

كافور: إنه مارد مربوط بطلسم ولكن هناك شيء غريب

صيف: أيوجد أغرب من هذا الشيء؟ أشعر بالغثيان والرعب كلما نظرت إليه

كافور: الغريب ليس شكله ولكن حضوره وتشكله للعين المجردة. فعادة عندما نقوم بعمل لإنسان، يقوم المارد بالأذى إما عن طريق الصرع أو بعض الأمراض أو شلل بعض الأجزاء أو حتى جعل المعمول له يشعر بالوسواس والخوف حتى الجنون. ويختلف الربط حسب قوة الشيطان وحسب مدى تحصين الشخص. ولكن عندما نقوم بعمل سحر لشيطان آخر، يقوم الخادم بالظهور ليستطيع القتال معه إما لقتله أو لربطه عند مشعوذ

صيف: إذاً الطلسم الذي ربطت به حوت أصبح طلسم ربط لشيطان؟ ولكن كيف؟

كافور: عندما قلت لي بأن حوت يسبق الجميع بخطوة لم تكذب. بل نحن حتى الآن لم نعرف مدى معرفة حوت وقوته في عوالم ما وراء الطبيعة. فهو على ما يبدو وجد طريقة للتخلص من الطلسم الذي كان على إصبعه وجعله مربوطًا بشيطان

ليقاطعه صيف قائلاً: شظية؟

كافور يهز رأسه بالموافقة: فعلى ما يبدو تمكن حوت من جعل الكتابة التي على الطلسم في إصبع يده داخل شعلوة، وبذلك عند استدعاء مارد الطلسم، وجد أن الطلسم يحمله شيطان وليس إنسي. لذا ظهر متشكلاً حتى يستطيع قتاله. ولا يهمه نوع الشيطان، حتى لو كان أحد ملوك الجن السبعة، فهو لن يتوقف حتى يموت أو يقتل الشيطان الذي استدعوه من أجله

صيف: إذاً الطلسم الآن داخل شظية ولا نعرف كيف. الذي نعرفه أن هذا المارد لن يتوقف حتى يقتل شظية أو يموت

كافور: نعم، إنه تغيير كبير في مجرى الأحداث

حوت ينسحب ببطء ليذهب باتجاه كافور وصيف تاركًا شظية الواقفة من دون حراك مقابل هذا المارد الذي على ما يبدو ينوي الفتك بها. يتنقل جبل بسرعته المعتادة ليصبح وراء المارد صارخًا فيه: ابتعد عن أختي يا لعين. ليوجه له ركلة أسفل ركبتيه من وراء ظهره جعلت المارد ينحني قليلاً، ولكن لم يلتفت وجل تركيزه على شعلوة الواقفة دون حراك، فعلى ما يبدو مقيدة من المارد بقواه الغامضة. يعيد جبل الضربات ولكن من دون فائدة، يتراجع جبل للوراء قابض يديه ورافعهما أمامه ليتحرك بسرعة كأنه رصاصة ليصطدم بظهر المارد بضربة قوية جعلته يتحرك قليلاً من مكانه وينظر بعيونه السوداء المخيفة باتجاه جبل مما سمح لشظية بالتحرر والوقوع على الأرض لتهرب بسرعة باتجاه أبيها الملك، ليلحق بها المارد كأنه كان في انتظارها قبل أن تصل من شدة سرعته، في هذه الأثناء كان حوت قد وصل إلى أصدقائه فعلًا وقاموا بالابتعاد قليلاً عما يجري. حوت مازحًا

كافور: إذًا أيها المشعوذ، لقد وسمتني بشيطان مارد فقط من أجل مصالحك الخاصة؟

كافور يحاول الدفاع عن نفسه: تكون قدراته أضعف أمام الإنس وتكاد لا تذكر، ولكن أمام شيطان آخر يظهر بأقسى قوته. ولكن أخبرني، كيف استطعت تحويل الطلسم بفكه عنك وربطه بشعلوة؟

حوت مبتسمًا، أتتذكر الجنية الخادمة التي أمرتها بأن تلبي كل ما أحتاج عندما أردت إرسال رسالة لوالدتي؟

كافور: نعم، أخبرتها أن تلبي جميع حاجاتك وجعلتني أطلب منها ألّا تخبرني بما تريد منها حتى لو سألتها عن ذلك

حوت: صحيح، في الحقيقة لم أرسل رسالة لوالدتي، فأنا حتى لو مت هنا لا يمكنني أن أخبرها عن هذا المكان المخيف والعجيب. ولكن طلبت من تلك الجنية ثلاثة أشياء: قطعي لرأس إصبعي مكان الطلسم دون تشويه الكتابة والذهاب به إلى حيث تتعالج الشيطانة وفتح فمها

وإسقاط رأس إصبعي المقطوع داخله وجعلها تبتلعه. وهذا ما جعلها تستيقظ من غيبوبتها وربطها بالطلسم، فأصبح كالسحر المأكول بالنسبة لها. وعلى هذا، أي ضرر لصاحب الطلسم سيكون أثره عليها فقط، كافور متعجب من دهاء حوت ومعرفته الواسعة بالطلاسم والسحر والشياطين وتخطيطه لكل شيء كأنه كان متوقعًا حدوث هذه الأشياء

ليسأله صيف: ما الطلب الثاني والثالث إن كان طلبك الأول إرسال الطلسم وأنت أخبرتنا بطلبك منها ثلاثة أشياء؟

في هذه الأثناء، شظية المرعوبة تصل عند والدها لتسقط على حذائه المفرد، فهو يرتدي في رجل حذاء وفي الأخرى حافيًا، وهذا من عادات الشياطين فهم يمشون بفردة حذاء واحدة. ليرفعها ويطمئنها بأنه لن يتركها ولن يسمح أن يصيبها مكروه. يبدأ حرس أبيها الأقوياء بالهجوم على المارد الذي أصبح على مقربة من الملك وابنته. المارد يفتك بالحراس ويقتلهم كأنهم طفيليات صغيرة بالرغم من عددهم وضخامتهم، وجبل يقود الهجوم ليتلقى ضربة قوية جعلته يقع بالقرب

من والده الملك وأثار التعب والإصابات ظاهرة عليه، يقترب منه الملك فرزد قائلاً توقف عن القتال واذهب بسرعة للمملكة واستدعي جميع الجيش، حتى وزراء البلاط والخدم استدعيهم

جبل باستغراب: لماذا؟ آخر مرة قمنا باستدعاء الجيش منذ حوالي ٧٠٠ عام في حربنا ضد قبيلة الصفيرات. إن كان بسبب المارد، فنحن حرسك الخاص أكثر منه عددًا وقادرون على هزيمته

الملك فرزد: اسمع كلامي ونفذ ما أمرك به، ألم ترَ كيف يتقطعون أمامه؟ سينتهي منهم ويأتي دورنا، هل هذا ما تريده؟ اسمع الكلام ونفذ الأمر بسرعة، هناك شيء كبير يتحضر ضدنا، يغضب جبل ولكنه يقتنع بكلام الملك ويختفي فجأة تاركًا دخانًا كثيفًا مكانه، تم القضاء على حوالي نصف حراس الملك من المارد فقط، وبدأ ينتشر خبر بين الحراس أثناء القتال بأن الملك قام بتهريب ابنه جبل وتركهم للموت على يد وبطش المارد. ليصرخ فيهم أحد حراس الملك القدامى قائلاً: لا دخل لنا بمن هرب أو انسحب، ولكن وظيفتنا كما كانت دائمًا هي حماية

الملك والحرص على سلامته حتى لو عنى ذلك موتنا في سبيله، ليزمجر معيدًا الأمل للحراس ليشتد القتال من جديد. وبالفعل تلقى المارد بعض الطعنات والإصابات البليغة لكنه ما زال واقفًا ويقتل بالحراس واحدًا تلو الآخر، شعلوة مختبئة وتشاهد بخوف خلف والدها سقوط الحراس أمام المارد لتخبر والدها بأن الإنسي هو السبب، فهو من استدعى هذا المارد، وبأنهم استهانوا به وكان يجب عليهم القضاء عليه منذ دخوله لهذا العالم، وإن غادر سينتشر خبر إذلالهم بين قبائل الجن ليرد عليها الملك بأنه يوجد ما هو أهم الآن، فربما حياتهم على المحك. فالمارد ما زال واقفًا والحراس أكثر من نصفهم إما فارق الحياة وإما مصاب ولا يستطيع الاستمرار في القتال. وجبل تأخر في العودة، وإن استمر هذا الوضع فإن الملك سيضطر أن يشارك في القتال بنفسه أيضًا. وهذا المارد من تحضير المشعوذ، وربما سيقوم بتحضير المزيد من أمثاله أو ربما سيستدعي الغيلان. فمعرفته بكل تلك التعاويذ تجعله خطرًا على أي مملكة، لذلك يجب أن نتخلص منه أيضًا

بالعودة إلى الثلاثي حوت وصيف وكافور، وبعد سؤال صيف لحوت ما كانت طلباته من الجنية بعد طلبه بإرسال الطلسم لتبتلعه شظية، فهو ذكر لهم بأنه طلب منها ثلاثة أمور. ليجيب حوت بأن الطلب الثاني منها أن تذهب إلى شيخ قبيلة شحبار وكبار أقاربه وتخبره بكلمات قد علمه إياهن شحبار يستخدمهن عندما يكون بحاجة للمساعدة. وبالفعل أرسل معها تلك الكلمات لنجدة ومساعدة أصدقاء شحبار من الإنس، فهو كان يعرف بأنهم سيعانون مع الشياطين ولن يكون خروجهم سهلاً. وهم مسلمون مثلهم، ومساعدة المسلم للمسلم واجبة، فبعد إسلام شحبار جميع القبيلة أسلمت وأصبحت من الموحدين، وأصبح لشحبار مكانة خاصة في قبيلته

ليسأل كافور هذه المرة عن الطلب الثالث: ماذا كان؟ مع نظرة إعجاب وتعجب بمدى ذكاء حوت وتفكيره في القادم لينظر حوت إلى الأرض ويحك رأسه ليقول: رسالة إلى الشيخ صالح، صديق صيف وصديقي وصديق جميع من في منطقتنا والجوار

صيف مستغربًا: هل جننت؟ سيقتلونه! أتستدعي شيخنا الطيب إلى حرب شياطين وأرضون غريبة؟ وكيف سيعرف طريقة الدخول؟ ليرد عليه حوت بقوله: الشيخ صالح رجل مؤمن وقوي، ونحن بأمس الحاجة إلى رجل هكذا. كما أنه حذرني قبل القدوم إلى هنا بأنني سوف أكون تحت سطح الأرض وسأحتاج مساعدة، ويجب ألّا أفقد إيماني مهما حصل ومهما رأيت. ولكنني لم أفهم ماذا كان يقصد وقتها. أنا متأكد بأن الشيخ صالح ليس مجرد رجل عادي عنده معرفة دينية، بل هو أكثر من ذلك، وأن الله قد فتح عليه ببعض الهبات، والعلوم ببعض الأمور التي تكون لدى العارفين بالله. أنا متأكد بأنه يعرف عن هذا العالم ليصمت صيف كأنه اقتنع بأهمية وجود الشيخ، فهو فعلاً يشهد بأن الشيخ صالح لديه بعض التصرفات الغريبة. ليقاطع كلامهم صوت قادم من بعيد

كافور: هل تسمعون هذا الصوت؟

صيف: نعم، يزداد شيئًا فشيئًا

حوت مع ابتسامة رضا: لقد فعلوها إذًا

صيف: ماذا تقصد؟

حوت: أقارب شحبار وقبيلته لبوا النداء

كافور: هذا صوت طبول الحرب، يستخدم لبث الرعب في قلوب العدو، إنهم قادمون للقتال لينظر الجميع إلى الأفق حيث الصوت قادم ويزداد في الارتفاع، مشهد تقشعر له الأبدان. عشرات الألوف من الرجال يرفعون رايات سوداء وحمراء ويتقدمون بسرعة كأنهم يمشون على الهواء والبعض منهم يمتطي أسود وضباع

ليقول حوت: الحمد لله، إنهم معنا وليسوا علينا

بالعودة إلى شظية والملك فرزد وقتال حراسه مع المارد، يبدو أن الكفة رجحت لحراس الملك. فعلى الرغم من قوة المارد وعناده وتكبيده الحراس الكثير من الخسائر، استطاع الحراس أخيرًا حصاره والسيطرة عليه وتوجيه له العديد من الضربات الخطيرة التي قللت من خطورته

وكبحت من جموحه. ليصرخ جبل خلف والده وشعلوة قائلاً: هل أنتم بخير؟ ليسأله والده عن سبب تأخيره، ليقول له بأنه انتشر خبر بأن قبيلة مسلمة تريد أن تقاتلهم، وانقسم الحكام التابعين لمملكتهم بين من يريد الحرب وبين من يريد النأي بالنفس. وبعد أخذ ورد وتهديد ووعيد استطاع أخيرًا توحيد الجميع للقتال. ولكنه سأل والده: كيف عرفت بأن هناك جيش قادم لمحاربتنا وطلبت مني الذهاب لاستدعاء جيشنا؟

الملك فرزد: أخبرني بعض الشياطين التي تسترق السمع بأن هناك جيش من الجن المسلم قادم للحرب، ومملكتنا هي الوحيدة القريبة التي على خلاف معهم. لذلك كنا متوقعين هذه الحرب، ولكن ليس اليوم، فقط باغتونا بهجومهم الآن. وعلى ما يبدو بأن الإنسي له يد في الموضوع بتسريع المواجهة

أثناء حديث الملك، بدأت بقع من الدخان تتشكل وبعض الحفر في الأرض يخرج منها شياطين بأشكال وأحجام مختلفة، وبعضهم لديه قرون صغيرة، وبعضهم برؤوس غريبة، وبعض الحيوانات السوداء

مختلفة الحجم. فعلى ما يبدو جيش الشياطين وصل وجاهز للقتال. في هذه الأثناء، المارد شبه منهزم وراكع على الأرض ويتلقى الضربات دون مقاومة. ليتقدم الملك ويخرج سيفًا كبيرًا ويقترب من رأس المارد الضخم قائلاً: "لقد أتعبتنا يا قبيح، وحان وقت القطاف." ليقوم برفع السيف عاليًا وإنزاله على جبهة المارد ليقسم رأسه نصفين، لتبدأ صرخات الحماس من الحراس وفرحهم بموته

الملك فرزد موجهًا كلامه لجبل وسيفه لم يغمد بعد من قتل المارد: ابدأ برص الصفوف وتنظيمها، فالمعركة الكبرى على وشك البدء

ليبدأ جبل بالصراخ على كبار الحراس وتوزيعهم على الجيش والتنسيق مع الفيالق الأخرى، والطلب من الشياطين المتشكلة على شكل حيوانات سوداء أن تكون هي في مقدمة الجيش. فتنوعها بين الكلاب والثعابين الضخمة والقطط السوداء واختلاف أحجامها تربك العدو وتخترق صفوفه بسهولة، على بعد أمتار من حوت، بدأت تظهر ملامح جيش الجن المسلم وعتادهم وأشكالهم بوضوح وأجسادهم

السوداء الضخمة. ليتقدم رجل عجوز ضخم الجثة يرتدي زيًا أبيض مع لفحة بيضاء تغطي رأسه وبعضًا من وجهه، أشبه بزي من يعيشون في صحراء دولة موريتانيا. في يده اليمنى سلاح يشبه الرمح ولكن برأس ثلاثي الأسنان مدببة الشكل، ملامح وجهه قريبة من ملامح شحبار ولكن أكبر بكثير جسدًا وسنًا. ليبادر كلامه بالسلام عليكم

ليرد عليه حوت السلام قائلاً: وعليكم ما ذكرتم، أنا حوت، شكرًا لتلبية ندائنا وبهذه السرعة

شيخ القبيلة: "هذا واجبنا، وكل صديق لخنجر هو صديقنا" صيف متمتمًا لكافور: "من يعني بخنجر؟ من يقصد؟" ليجيبه كافور بأن شحبار اسمه الحقيقي خنجر، وهو ابن شيخ له مكانته في قبيلته، وهؤلاء أغلبهم أقارب له ليكمل شيخ القبيلة كلامه مع حوت بإخباره بأن ملك فرزد من ملوك الجان الكبار ولهم سمعتهم، وهم على عداوة معهم خاصة بعد دخولهم الإسلام. وبأنه معروف عنه كرهه وحقده على الإنس، وأنه لن يتوقف حتى يتم التخلص من حوت ومن معه، ولن

يكتفي بهذا بل سينتقم أيضًا من عائلاتهم، وربما سيخطط مع بعض السحرة الموجودين على السطح عارضًا مساعدته في أمور الشعوذة شرط التخلص من أفراد عائلتك. خاصة لاعتقاده بأنك تطاولت عليه وزعزعت هيبته وأذيت عائلته ليرد حوت مستنكرًا كل تلك الأمور وبأنه أراد إنقاذ صيف فقط ولم يتعرض لأحد ولن يسمح لأحد أن يقترب من عائلته ليقاطعه شيخ القبيلة: لا داعي للتبرير، فأمر الله كان مقدورًا وما حصل قد حصل. والمهم الآن كيفية خروجهم بسلامة إلى السطح و بأنه وصلته معلومات بأن خنجر بخير ويتجاوب مع العلاج، كما أرسل أقوى مقاتلي القبيلة لحراسته والتأكد من سلامته لتظهر علامات السعادة والاطمئنان على وجه حوت الذي جدد شكره لشيخ القبيلة على مساعدتهم، وبأن كل ما يطلبونه هو الخروج للسطح بسلامة ليرد شيخ القبيلة قائلاً: بأنه من الخطر عليهم البقاء هنا خلال القتال، ولكن عليهم البقاء تحت أنظارهم حتى لا يتعرض لهم أحد من الشياطين. لذا عليهم الذهاب إلى آخر الصفوف، وسيكون هناك بعض الحراس لحمايتهم وحراستهم. فمعارك الجن تختلف عن معارك الإنس، فهم يتفقون على

قدرات معينة وتشكيل معين، وإن خالفوها ستنتشر الفوضى في أرض المعركة. وبما أن حربهم مع الشياطين، فهم لا يضمنون عدم غدرهم وما الذي ينتظرهم. وحسب العرف المعروف في حروب الجن، تنتهي المعركة إما بانسحاب أحد الفريقين أو وفاة أحد المهمين من العائلة الملكية أو من القيادات المهمة أو باستسلام إحدى الطرفين ليهز رأسه حوت بالفهم ويستمر بالمشي وخلفه صيف وكافور في الجهة التي يتمركز فيها جيش الشياطين، وعلى بعد عشرات الأمتار من جيش الجن المسلم، اكتملت الصفوف وتوزعت الوحدات. على الرغم من اختلاف أشكالهم وتنوعها، إلا أن تعدادهم الكبير وتنظيمهم الجيد أضاف لهم رعبًا إضافيًا إلى جانب أشكالهم المرعبة. عم هدوء تام في ساحة المدينة التي تحولت إلى ساحة المعركة، وهروب جميع السكان والزوار، وبقاء من سيشارك في القتال فقط. رفع شيخ القبيلة يده ليتوقف الجيش على بعد أمتار قليلة من جيش الشياطين بشكل مواجه للخط الأمامي لخط العدو الأول لينادي شيخ القبيلة مخاطبًا جيوش الشياطين قائلاً: أنا العبد الفقير إلى الله، أدهم بن عواد بن برقان. إن

أسلمتم سلمتم، وإلا بيننا وبينكم الموت ليتقدم جبل قائلاً بصوت مرتفع يسمعه الجيشان: تقدم إن أردت الجود، فنحن أبناء فرزد لا نخلف الوعود، حلان لديكم، وهذه مني لكم عهود: إما الموت أو إلى جحرك هربًا ستعود

ليرد عليه شيخ القبيلة قائلاً: أتهددني بالموت يا ابن الشيطان؟ أتهددني بالذي بعد الحياة ضمان، إن متنا على أيديكم سنكون من أهل الجنان، وإن متم بأيدينا مأواكم جهنم والنيران

ليصدر صوت بوق قوي من الخلف معلنًا بداية الحرب. ليصرخ شيخ القبيلة بالهجوم مع إشارة بيده نحو صفوف جيش الشياطين. ليعلن جبل أيضًا الهجوم. لتبدأ الشياطين التي على شكل حيوانات سوداء بالالتحام مع جيش الجن المسلم، وباقي الشياطين تنتظر أمر هجومها. وخلال ثوانٍ بدأت تلك الحيوانات بالتغلغل خلف خطوط جيش المسلمين. على الرغم من قتل العديد منها، إلا أن اختراقها للصفوف جعل الجيش يشتت من تركيزه في محاولة احتوائها ليعلن جبل للفيالق الأخرى

بالتقدم للقتال دفعة واحدة. ليلتحم الجيشان بكل قوة، وصوت الصراخ والصدام يصدح في الساحة، والغبار يعم الأرجاء، ورائحة الموت في الأجواء. حوت ومن معه هربوا من الصفوف الأخيرة بعد معرفتهم بأن بعض الحيوانات الشيطانية تشكلت على شكل زواحف سامة واخترقت الصفوف، وقد يتعرضون لهم في أي لحظة ما دفعهم للابتعاد عن الجيش بمسافة آمنة والانتظار على ربوة صغيرة ومشاهدة أحداث المعركة بقلق، مع الدعاء لجيش المسلمين بالانتصار. ومعهم عدد قليل من الحراس لحمايتهم لا يتجاوزون الخمسة أفراد

يتكلم صيف بغضب: لا يمكن الوقوف والمشاهدة فقط، علينا المساعدة

ليرد عليه كافور: بل علينا الهروب ما دامت الفرصة سانحة. إن لم نهرب الآن قد تتعقد الأمور معنا

ليتكلم حوت ونظره على المعركة قائلاً: بل علينا انتظار ما سيحدث. لو خرجنا الآن يوجد احتمال كبير بأن يتبعنا أحد الشياطين أو السحرة

ويقضي علينا. يجب أن نتأكد بأننا أصبحنا في أمان وهذا لن يحدث إلا بعد نهاية المعركة

في الصفوف الأمامية، خسائر كبيرة من الطرفين واختلاط الصفوف ببعضها البعض زاد من حدة القتال. أصوات غريبة مخيفة تخرج من داخل المعركة: عواء مع نحيب مع صرخات متقطعة، وتكاد تسمع قهقهات ضحك يتبعها أصوات بكاء. هذه الأصوات جعلت حوت ومن معه يشعرون بالخوف ليبدأ حوت بقراءة القرآن والذكر ليهدأ خوفه قليلاً. ليعود بنظره إلى المعركة ومراقبة ما يحدث بقلق. ليرى أشكالًا سوداء تطير وتسقط فجأة بين الجيوش، فعلى ما يبدو جبل استعان ببعض الشياطين الطيارة، جبل يلتفت برأسه يمينًا ويسارًا ويقتل كل من يجده أمامه من دون عناء، ليعيد البحث برأسه يمينًا ويسارًا ليسمع صوتًا خلفه قائلاً: هل فقدت شيئًا يا لعين؟ ليرد جبل مع ابتسامة عندما رأى من المتكلم: كنت أبحث عنك يا عجوز السوء، لن أرحم كبر سنك ليرد عليه شيخ القبيلة بفتح يديه كمن يريد أن يعانقه، وهذه رسالة معناها تقدم إن استطعت. ليبدأ القتال بين شيخ القبيلة وجبل، الذي

يوجه ضربات قوية، ولكن الشيخ أدهم يتفاداها كمن يتوقع هذه الضربات. يقوم الشيخ أدهم بقراءة بعض الآيات التي جعلت جبل يستشيط غضبًا ويضعف قليلاً ليقول وهو يقاتل بأن شيخ القبيلة كسر قوانين القتال بقراءته تلك الآيات. ليرد شيخ القبيلة بأن هذه الآيات جزء لا يتجزأ من حياتهم كمسلمين ويستمر القتال والحوار الحاد أثناء القتال بين جبل وشيخ القبيلة، ومحاولة إقناع جبل بدخول الإسلام والاستسلام. النقاش أصبح حادًا أكثر من القتال. ليقول الشيخ أدهم بأنه لا يوجد أمل من جبل وعليه أن يموت. جبل ضاحكًا بصوت مرتفع مستهزئًا بكلام شيخ القبيلة ومحاولته وأساليب دعوته حتى خلال قتالهم

جبل مخاطبًا شيخ القبيلة: سأقتلك حتى أنهي هذه المعركة

ليصرخ صوت مألوف من خلف جبل قائلاً: ألم تكتفي من القتال بعد يا شيطان؟ ألم تتعب؟ لينظر جبل بخوف للوراء وبحذر وبنفس الوقت

تركيزه على شيخ القبيلة حتى لا يغدره، ليجد شحبار واقفًا وبيده سيف دمشقي قديم

جبل وأثار التعجب ظاهرة عليه: كيف استطعت النهوض مجددًا؟ لقد كنت على حافة الموت وتحتاج أيام لتعود كما كنت، ليرد عليه شحبار بأنه صاحب حق وصاحب الحق لا يمكنه الاستسلام، وبأنه بفضل الله ثم أطباء قبيلته ودواء كافور الذي شربه قبل المعركة استطاع النهوض. لينتشر خبر بين صفوف المقاتلين بأن شحبار قد شفي وعاد ليشارك بالمعركة وصرخات جيش المسلمين تصدح بالتكبير

على الربوة الصغيرة المطلة على المعركة التي يجلس عليها الثلاثي، سمعوا أصوات التكبير، ليسأل صيف: "هل انتصروا؟" ليرد عليه حوت بأنه لا يعتقد ذلك، فالمعركة ما زالت مستمرة ولم تنتهِ. ولكن على الأرجح حدث شيء لمصلحة جيش المسلمين جعلهم يكبرون الله بالعودة إلى المعركة، شيخ القبيلة يرحب بعودة شحبار ويحمد الله على سلامته دخل شحبار في القتال ليصبح جبل وحده في مواجهة شحبار والشيخ

أدهم، وتتصاعد حدة القتال بمرور اللحظات والجثث تتوزع على أرض المعركة. جبل صامد في وجه شحبار والشيخ أدهم. وعلى بعد أمتار من المعركة، يجلس الملك فرزد خلف خطوط جيشه يشاهد ما يحصل بقلق، ليقول: "هل تعرفين يا ابنتي الفرق بين الإنس والجن وبين الجن أنفسهم؟" منتظرًا الرد من شعلوة، لكن لم يسمع صوتها. ليلتفت وراء حرسه الخاص بحثًا عن شعلوة التي كانت بجانبه قبل قليل، ليبدأ بالسؤال بخوف: "أين هي الأميرة شعلوة؟" ليخبره أحد الشياطين بأنها ذهبت مع عشرة من حراسها للانتقام من الإنسي

ليصرخ الملك بغضب: يا لها من غبية، ألم تتعلم بعد بأن هذا الإنسي ماكر؟ ألم ترَ ماذا فعل هو وصديقه المشعوذ بنا؟ يجب أن تعود قبل انتهاء المعركة، لربما أخذوها أسيرة أو قتلوها. عليكم إيجادها الآن وإخباري أين هي

ليتقدم أحد الشياطين من مسترقي السمع ليقول: بأنها نجحت هي ومن معها من حراسها في تجاوز جيوش العدو من دون أن ينتبهوا لها،

وهي الآن على بعد أمتار قليلة من الإنسي وأصدقائه ليقول الملك بصوت يظهر آثار قلقه: بأنه يخشى عليها من الإنسي أكثر من جيش العدو، وعليه أن يذهب لإنقاذها

ليرد عليه أحد الوزراء قائلاً: عذرًا يا مولاي، ولكن لا تنسَ بأننا في حرب، وأي خطوة غير مدروسة قد تكلفنا خسارة الحرب وربما حياتنا وقد نعرض الأميرة للخطر. فهي تمكنت من تجاوز خطوط العدو وليس لديهم علم بها، ولكن إن أرسلنا كتيبة أو عدد من جنودنا سنلفت الأنظار عليها وقد نتسبب بأسرها أو حتى قتلها

ليرد الملك: أنتركها في منطقة العدو في الخطر هكذا وننتظر حدوث الأسوأ؟ ما الحل؟ ليرد الوزير بأن الحل هو الإبقاء على الأمور كما هي، وإرسال بعض من مسترقي السمع ليكونوا عيننا ومراقبة الأميرة من دون أن نتدخل حتى نجد طريقة أخرى للوصول إليها من دون أن نشكل خطرًا عليها أو على مجرى المعركة ليصمت الملك قليلاً ثم يعطي الأمر بقبول الفكرة وإرسال مسترقي السمع الآن لمتابعة أخبار الأميرة

على الجهة الأخرى، حيث ينتظر حوت ومن معه، يتفاجؤون بشعلوة ومعها بعض الحراس أمامهم. ليهجم الحرس المحاطون بحوت عليها من دون أن يعطوها مجالًا للتكلم، ليبدأ قتال عنيف ومميت بينهم انتهى سريعًا بمقتل جميع حراس شعلوة رغم التفوق العددي لهم. لتبقى شظية وجني مسلم واحد من حراس حوت، ليهجم عليها ويبدأ القتال معها يحاول حوت مساعدته لكن لشدة سرعتهم في القتال لا يستطيع لمسهم. فهم كالذين يتنقلون آنياً عبر الزمن، تراهم في موقع معين وقبل أن يرد لك طرفك تراهم في موقع آخر حوت يحمل بيده جلمودًا كان بجانبه، ليس بصغير، ويحاول التركيز على شظية لاستهدافها، لكن لا يستطيع مجاراتها. بعد عدة محاولات، أخيرًا شعلوة تقف على بعد أقل من عشرة أمتار من حوت وظهرها ناحيته، والجني المسلم يقف أمامها بحذر ويظهر عليه آثار التعب والإصابات، فعلى ما يبدو يأخذون ما يشبه الاستراحة. يستغل حوت ثباتهم قبل إكمال جولتهم القتالية ليرمي بالجلمود بقوة باتجاه شعلوة. قبل أن يلامس رأسها، تستدير شعلوة وتمسكه بيدها وتغلق كف يدها عليه ليتفتت لأجزاء صغيرة

كالغبار على الرغم من قسوته. ليتفاجأ حوت كيف استطاعت أن تراه وتكسره بكل سهولة هكذا، ويتساءل من أين لها بكل هذه القوة. فعلى ما يبدو بسبب غضبها وكرهها وبطشها ازدادت قوتها وستتحول إلى مارد مع الوقت لتتكلم بصوتها المخيف المعتاد وعيونها الحمراء قائلة: "راعي الماعز كان أقوى منك في رمي الحجارة، يا لك من فاشل يا دودة." ليبدأ شعرها بالتطاير وتستعد للانقضاض على حوت ومن معه. لتتفاجأ بأداة حادة غرست في أعلى ظهرها لتصرخ وتلتفت بسرعة لتجد الجني المسلم وبيده ما يشبه السكين ويحاول طعنها مرة أخرى. لتمسك يده ويبدأ النزاع من جديد بينهما، فهي تحاول إبعاد السكين وهو يحاول طعنها. وعلى الرغم من إصابتها، استطاعت أن تقاوم بقوة لتتمكن أخيرًا من قضمه بأسنانها من حنجرته بشراسة جعلته كمن تعرض للنحر. ليقع على الأرض والسوائل تتطاير من مكان العضة ليموت في سبيل بني الإنس كما مات العديد من إخوانه، شظية تقف قليلاً للتأكد من موته وتتحرك بصعوبة بسبب إصابتها، لتسقط فوق جثة الجني مرهقة من آثار القتال والإصابة. حوت يراقب بعيون دامعة جثة

الجني المسلم الذي قتل بتلك الوحشية أمام ناظريه وهو يقف لا يستطيع تقديم المساعدة، ليس بيده حيلة وغيره الكثير ممن سقط في أرض المعركة. ليقترب منه كافور واضعًا يده على كتفه ويكلمه بعد مواساته بأنه لا يمكن الاستسلام الآن، عليهم الاستمرار بالقتال والصمود، وبأن شظية لم تمت بعد وسوف تستيقظ في أي لحظة، وعليهم الهرب قبل أن تفيق ليمسح حوت دموعه ويطلب من صيف قارورة الماء ليشرب ويغسل وجهه ويتوضأ، وكافور يراقب شعلوة بخوف محاولاً استعجال حوت للهرب. ليرد عليه حوت وهو ينظر لشظية قائلاً: لا مزيد من الهرب

كافور يضحك بصوت عالٍ كمن فقد عقله: أنت تمزح، ههههه، بالطبع أنت تمزح حوت بوجه خالٍ من التعبير ويتأمل بجثة الجني المسلم.
ليتكلم كافور من جديد: هل جننت؟ هل تريد الانتحار؟ ألم ترَ قوتها؟ كان الحظ معنا ونجونا في أكثر من موقف، ولكن إلى متى؟ هل بعد كل الذي مررنا به لا تريد الهرب؟ ألم تعد تريد إنقاذ صيف؟

حوت: إذا رغبت في البقاء ابقَ، وإن لم ترغب أتفهم موقفك، يمكنك الرحيل وخذ صيف معك. فالمشكلة معي الآن ودمي المهدور. لقد قرأت ذلك في نظرتها إلي، تريدني أنا فقط

كافور: ابقى؟ بعد كل الذي حصل، أتعتقد بأنه يمكنني العيش بسلام من جديد هنا؟ بعد كل تحدياتك لهم وخدعة الطلسم واستدعاء المارد، أتعتقد بأنهم لم يعلموا بأن لي يدًا في الموضوع؟ ألهذه الدرجة أنت ساذج؟ ليلتفت كافور نحو صيف قائلاً: تكلم، أخبره بأنه علينا الهرب قبل فوات الأوان. لنخرج للسطح ومن ثم نفكر بالقادم

صيف: أنا مع حوت، إن أراد القتال سنبقى ونقاتل، لن أتخلى عنه، فأنا السبب في كل الذي حصل

كافور: يا لك من أحمق أيضًا أيها الراعي، هل الحماقة متوارثة عندكم في العائلة؟

ليصرخ حوت: يكفي أيها المشعوذ، إن أردت الرحيل ارحل، وإن أردت البقاء ابقَ، غير ذلك لا تسمعنا صوتك المزعج

كافور وكفوف يديه تغطي وجهه: الموت إذًا، إنها النهاية. كنت أتخيل دائمًا بأن موتي لن يكون طبيعيًا، لكن ليس لهذه الدرجة. يا لها من حياة حافلة قد عشتها

ليجلس بالقرب من حوت بعد التنهد قائلاً: والآن ما هي الخطة؟

بالعودة للملك فرزد، يقترب وزيره معلنًا عن آخر الأخبار التي أتت من مسترقي السمع

الملك يرد بلهفة: بسرعة، أخبرني ما هي آخر أخبار الأميرة؟

الوزير: حدث قتال عنيف بين حراس الأميرة وبعض الجنود ممن كانوا مع الإنسي، انتهى بمقتل جميع حراس العدو وجميع حراس الأميرة أيضًا. وبقيت الأميرة شعلوة والإنسي والمشعوذ والراعي. لكن على ما يبدو بأن الأميرة تعرضت للطعن وإصابتها متوسطة، فهي ما زالت على

قيد الحياة لكنها تستلقي في محاولة استرجاع بعضًا من قوتها.

والإنسي على مقربة منها لكنه لم يقترب ولم يهرب أيضًا، ربما يخطط لشيء.الملك بغضب: توقعت ذلك، كان يجب علي أن أذهب لإنقاذها، إنها ليست بمأمن، خاصة بأنها مصابة أيضًا

في أرض المعركة، ما زال القتال قائمًا. يتجمع بعض الشياطين لمساعدة جبل

شحبار مخاطبًا شيخ القبيلة: لا تعرهم انتباهًا، اتركهم لي وأنت تعامل مع جبل. ليرد شيخ القبيلة بالموافقة ويطلب من شحبار توخي الحذر. ليعود القتال الفردي بين جبل وشيخ القبيلة

على الربوة، بدأت شظية بالتململ ورفع جسدها قليلاً. فعلى ما يبدو استعادت بعضًا من عافيتها وستقف الآن. حوت يقف بوجه عابس وبيده جلمود آخر ولكن أكبر حجمًا من السابق. صيف يقف بجانب حوت وفي يده قطعة من الزجاج وجدها أثناء تسلقه. كافور يتوسطهما

ويحمل عصا غليظة بعد فقدانه الأمل من استدعاء خادماته، على ما يبدو لن يتدخلوا في هذه المعركة على الرغم من أنهم من الجن

تفرد شظية قامتها وترفع رأسها ببطء باتجاه حوت قائلة: الآن سينتهي كل شيء، سيكون موتكم سريعًا احترامًا للصمود والمواجهة التي أظهرتموها. لقد أتعبتموني بحق، ولكن البقاء للأقوى، إلا إن كان هناك مزيد من الخدع في جعبتكم، عندها سأجعلكم تتمنون الموت من شدة العذاب. مع ابتسامة شريرة ارتسمت على وجهها

الثلاثي أخذ وضعية الدفاع. شعلوة تنظر لهم بنظرة فوقية واستهزاء من أسلحتهم الضعيفة وغبائهم لمحاولتهم إيقاف أميرة من الجن وعدم استسلامهم

ليأتي صوت من خلف شظية قائلاً: ألم تكتفي من الكلام يا جرباء؟

شظية تنظر باتجاه الصوت ووجهها تعلوه علامات الخوف والاستغراب.

الثلاثي تغيرت ملامحهم فجأة كمن وجد كنزًا

ليصرخ حوت وصيف: الشيخ صالح يا حي الله

حوت مخاطبًا الشيخ: لقد أتيت يا مولانا، الحمد لله. والفرح ظاهر على وجوههم كالغريق الذي وجد مركبًا

كافور: إذاً هذا الشيخ صالح، لماذا سعدتم برؤيته؟ لقد أضفنا جثة أخرى لكي تقضي عليها شظية بعد القضاء علينا، شظية تقف وكأنها تحاول استيعاب ما الذي يحدث، فعلى ما يبدو تعرفت عليه سريعًا. فهي لها عدة وقائع معه عندما كانت على السطح، آخرها عندما حاول أن يقتلها بعد ولادتها جدي مشوه ولكن توقف لسبب تجهله مع وعده لها بالقضاء عليها لاحقًا. وهذا الشيخ هو الوحيد الذي كانت تخشاه من بني الإنس. تحاول شعلوة التأكد هل هو جن متشكل بجسد الشيخ صالح لكنها لا تشعر بطاقة نارية. إذاً هذا هو الشيخ صالح نفسه. ولكن كيف يعرف بهذا المكان وكيف استطاع الدخول وكيف تعرف عليها بأنها هي شظية؟ كل تلك الأسئلة تطرحها شظية على نفسها من دون أن تتكلم،

فقط واقفة تتأمل بالشيخ صالح مع نظرة بلهاء على وجهها ليخاطبها الشيخ صالح قائلاً: تبدين كمن رأى إنسي

كافور ضاحكًا: لقد فهمت الدعابة، نحن نقول للخائف تبدو كمن رأيت جني، ولكن بما أنها جنية قال لها "تبدين كمن رأى إنسي". ههههه دعابة جميلة يا شيخ

شظية تحاول أن تبدو غير خائفة مخاطبة الشيخ صالح: ما الذي تفعله هنا؟ ليس لديك شأن أو عمل، لا يوجد حتى مساجد في هذه الطبقة من الأرض ليقاطع الشيخ صالح كلامها بصوت مرتفع: خسئتي يا ملعونة يكفي بطش وتمرد وأذى. حان وقت العقاب وستكون حياتك الثمن اليوم. ليضرب بعصاه الأرض بقوة جعلت شعلوة تتراجع للوراء خطوتين من الخوف. تخرج أظافرها وتقف كالحيوان الذي يتربص بفريسته، كل تركيزها على عصا الشيخ صالح وتحركاته لتجد نفسها تشعر بألم مبرح جعلها تسقط على الأرض بسبب ضربة على رأسها من الخلف. لقد فعلها المشعوذ، استغل تركيزها على الشيخ ليباغتها

بعصاه التي كان يحملها ليضربها على رأسها من الخلف أفقدتها توازنها. تحاول شعلوة النهوض ومعرفة ما الذي حصل لها لتقع مجددًا من أثر الضربة. لتهز رأسها بقوة وتأخذ شهيقًا عميقًا لتقف مجددًا وتنظر من أين أتت الضربة لتجد المشعوذ وراءها ويستعد لضربها مرة أخرى. لكن هذه المرة سبقه الشيخ صالح بضربة قوية من عصاه على أقدامها الخلفية جعلتها تركع ونظرها نحو حوت الذي يقف خلف المشعوذ وبيده الجلمود ويبادرها النظر

تتكلم بصعوبة موجهة كلامها لحوت قائلة بصوت متقطع: لقد فعلتها في الأخير يا دودة، استطعت التخلص مني، لكن توقعت أن تكون أنت صاحب الضربة القاضية وليس المشعوذ.حوت ينظر إليها من دون أن يرف له جفن أو تعبير كالرجل الآلي. لتخفض رأسها شظية، فعلى ما يبدو استسلمت لموتها. ليقترب منها المشعوذ ويقوم بضربها على رأسها بعصاه مجددًا. شظية تنظر لحوت بعين واحدة وعينها الثانية خرجت من محجرها من شدة ضربة المشعوذ. ليعيد الضربة للمرة الثالثة، ليفقد السيطرة على نفسه وينهال عليها بالضربات على رأسها

مرارًا وتكرارًا حوت يرمي الجلمود من يده وعلى وجهه بعض القطرات وقطع من اللحم التي تطايرت من عصا المشعوذ. صيف يرمي قطعة الزجاج أيضًا والدماء تقطر من يده، يبدو بأنه جرح يده من دون أن يشعر من شدة توتره وتمسكه بقطعة الزجاج. المشعوذ يستمر بالضرب على مجمل رأسها حتى اختلط شعرها مع لحم وجهها وعظمه ولم يعد يوجد أي ملامح للوجه، مجرد مخاط لزج مع دماء داكنة وبعض الدخان الخفيف الشيخ صالح يطالبه بالتوقف فلقد ماتت. المشعوذ يبدو كمن فقد عقله ويستمر بتوجيه الضربات ويمطرها بضربات على مجمل جسدها بعد الانتهاء من تهميش رأسها. ليقترب منه الشيخ ويدفعه بعيدًا ليسقط المشعوذ على الأرض. يقف بسرعة ويحاول الهجوم على الشيخ ليمسك به صيف من الخلف ويحضنه محاولاً تهدئته قائلاً:

توقف، جميعنا بخير، لقد انتهينا منها وللأبد. لقد فعلت الصواب، لو لم تهاجمها أولاً كنت سأهاجمها قبلك لكنك سبقتني. على الرغم من وزنك لكنك خفيف الحركة وسريع أيها المشعوذ، ليبتسم كافور ووجهه مغطى باللون الأحمر من الدماء التي تطايرت: يمكنك أن تتركني، أنا بخير،

لقد هدأت، ليبعد صيف يديه بهدوء تاركًا المجال للشيخ صالح الذي اقترب منه قائلاً: كان يمكنني قتلها من دون تدخلك، لكن كان أمر الله مقدورًا بأن تموت شيطانة على يد مشعوذ، حوت يقف مكانه ونظره على جسد شعلوة متفكرًا كيف كان قبل ثوانٍ والآن مجرد قطعة من اللحم والجلد. الشيخ صالح يقترب من حوت: "هل أنت بخير يا ولدي؟" ليرفع نظره حوت عن الجسد قائلاً: "ماذا؟ آه نعم نعم، أنا بخير، لكنني متعب." ليحضنه الشيخ ويضع رأس حوت على كتفه هامسًا له: لا بأس يا ولدي، لا تكبت دموعك

صيف بعيون دامعة مع غصة: "أنا بخير يا شيخ" ليعيد الشيخ صالح كلامه بصوت أعلى ويزيد من عناقه لحوت: "لا بأس بالبكاء يا ولدي، أرح نفسك." لينفجر حوت بالبكاء كالطفل الصغير وصوت شهيقه وتنهداته كادت تغطي على صوت المعركة، ويبكي ويبكي حتى امتلأ ثوب الشيخ بالدموع والمخاط. ليتوقف حوت عن البكاء بعد أن أخرج كل ما بداخله ليأخذ شهيقًا ويزفر قائلاً: شكرًا لك، ليرد عليه الشيخ بالعفو وبأنهم جميعًا مثل أبنائه، فعلى الرغم من أنه ليس لديه أولاد

ولكن عوضه الله بطلابه ويعتبرهم أبناء له. ليبتعد حوت قليلاً ويمسح دموعه. ليتقدم صيف باتجاه حوت وبيده قارورة الماء ليغتسل ويشرب.

يقطع هذه اللحظات كلام كافور: انتهينا من الشيطانة، لكن لا تنسوا المعركة مستمرة

ليرد الشيخ صالح: إخواننا من الجن المسلم ما زالوا في القتال، سأذهب لمساعدتهم

كافور: لا يوجد داعي، فعند موت أحد أفراد الأسرة المالكة تنتهي الحرب.ليتكلم صيف قائلاً: كيف سيعرفون؟ علينا أن نرسل رسالة لهم بأن أميرتهم تم القضاء عليها

الشيخ صالح: لا يوجد داعي، إني أرى العديد من مسترقي السمع منذ دخولي لهنا، وظيفتهم نقل الأخبار فقط

كافور: سوف يتم الإعلان عن مقتلها في أي وقت، لا داعي للاستعجال، نحن بخير هنا

على الجهة البعيدة الأخرى حيث يتمركز الملك ووزراؤه ومستشاروه وبعض الحكام من كبار الشياطين، يقترب وزير من الملك وعلامات التردد ظاهرة عليه

ليقول له الملك: "قل ما عندك." ليصمت الوزير ونظره للأرض. ليعيد الملك كلامه: تكلم أو قطعت لسانك

ليرد الوزير: بكل أسف، وصلتنا أخبار من مبعوثينا بمقتل الأميرة شعلوة والتنكيل بجثتها المتشكلة بها، ولا نستطيع حتى إحضارها لأنه لا يوجد شيء لحمله، مجرد كتل من اللحم، ليسقط الصولجان من يد الملك ويجثو راكعًا، ويبدأ بحمل التراب ورميه على رأسه والصراخ بصوت جعل جميع من في المعركة يتوقف عن القتال لأجزاء من الثانية. جبل بعد سماع صوت والده عرف سريعًا بأن أخته الأميرة قد ماتت، ليسقط السيف من يده ويبدأ بالهجوم على الشيخ أدهم بيديه المجردتين. وقبل أن يرفع يده ليمسك بالشيخ أدهم، يشعر جبل بنوع من الخفة، ليجد ذراعه من موازاة الكتف قد قطعت لتطير في الهواء والجميع ينظر لذراع قائدهم وهي في الهواء وشحبار يمسك بسيفه

ويستعد لتوجيه ضربة أخرى الشيخ أدهم مخاطبًا جبل الواقف أمامه الذي ما زال يحاول استيعاب ما حدث له: أنت قائد، ويجب على القائد دائمًا أن لا يفقد تركيزه ولا يرخي من دفاعه

ليهم شحبار بتوجيه ضربة أخرى ليجد العديد من الشياطين قد أصبحت بقربه تحاول الدفاع عن جبل بأجسادهم، وبعضهم من دون سلاح حتى. شحبار يبدأ بقتالهم في محاولة منه للوصول إلى جبل، لكن عددهم وتدافعهم جعل حاجزًا بينه وبين جبل، صوت بوق قوي صادر من مركز جيش الشياطين، معلنًا عن انتهاء المعركة. لتبدأ صفوف الجن المسلم بالتكبير بصوت واحد: "الله أكبر، الله أكبر." جموع الشياطين بدأت بالانسحاب والهروب، وأصوات صراخ مرتفعة مع ضراط يخرج منهم أثناء هروبهم. بعض الشياطين التي تحيط بجبل تقوم بحمله والانسحاب، وهو يزمجر بالجنود ليتركوه في أرض المعركة أحد الوزراء يقترب من الملك الجاثي على الأرض ويحاول أن يساعده على الوقوف ويواسيه بأنهم خسروا معركة ولكن الحرب لم تنتهِ بعد، وعليه أن يستعد للانتقام للأميرة ولخسائر جيشه الكبيرة. الملك واقفًا بحزم

وهدوء بعد أن عاد لرشده عارفًا مكانته. يقترب أحد الحرس وبيده الصولجان ويعيده للملك الذي بدأ بالاستفسار عن جبل وهل هو بخير. ليخبره أحد الأطباء من حرس الملك بأنه بخير ولكن خسر ذراعه، وعلى ما يبدو لن يستطيع القتال مجددًا، الملك محكمًا قبضته على صولجانه رافعًا صوته مخاطبًا حاشيته: أنا الملك فرزد ابن الملك الأحمر من سلالة ملوك الجن السبع والتي تنتهي بأبينا الشيطان الأكبر. أقسم بنار ابنتي شعلوة بأنني سوف أقوم بالثأر لها ولجيشي ولأبناء شعبي ولنفسى ولكل من تعرض للخسارة أو الإهانة أو الضرر اليوم، وهذا القسم يلزمني حتى موتي أو تنفيذه ليتقدم مستشاره الخاص ومعه خنجر ذهبي ويقدمه للملك، الذي في هذه الأثناء يفتح أزرار قميصه الحريري الناعم ويبدأ بنقش ما يشبه الكلمات السريانية على صدره، ليخرج مكان النقش نيران زرقاء. أغلقت جروح النقش ليقترب مستشاره مجددًا ويأخذ منه الخنجر قائلاً له: لقد تم قبول قسمك وأنت الآن ملزم به من قبل أبينا، ليهز الملك رأسه ويغطي مكان الوسم قائلاً: هيا لنعد للبلاط الملكي، واطلب من الرماديين الاهتمام بالمصابين

والتخلص من الجثث المتشكلة، وابعث لي جميع مسترقي السمع الذين شاهدوا موت الأميرة، ليبدأ دخان كثيف ينتشر بين أرجاء الملك وحاشيته ويزداد شيئًا فشيئًا، وكلما زاد الدخان اضمحلت أشكال الملك وحاشيته حتى اختفوا جميعًا تاركين آثار أقدامهم وحوافرهم وبعض متاعهم. وما هي إلا دقائق حتى وصل جيش المسلمين مكان تمركز كبار الشياطين قبل هروبهم، يقودهم الشيخ أدهم وخلفه شحبار، يقف الشيخ مخاطبًا الجيش: بسم الله الرحمن خالق الإنس والجان والصلاة والسلام على من بعث للثقلين. نحمد الله على انتصارنا اليوم ولكن الحرب لم تنتهِ بعد، فعدونا أكثر عددًا وأخبث وأغدر. ربحنا معركة ولكن هذه باب لمعارك كثيرة. طالما الله معنا، فمن علينا؟ لن نحتفل اليوم بسبب الخسائر التي وقعت من جانبنا ولكن لن نحزن أيضًا لأن الله وفقنا للنصر، كل الغنائم لكم، خذوا ما استطعتم وعودوا إلى عائلاتكم. فالأرض هنا ليست لنا وحدنا وعلينا أن نحترم خلق الله حتى لو كانوا مختلفين عنا، ففي خلقه شؤون. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته لتبدأ صرخات الفرح والتكبير والتهليل، والشيخ يتقدم باتجاه

شحبار ليخبره بأن عليهم الاطمئنان على إخوانهم من الإنس، فهم لوحدهم في العراء وسمعت بأنهم واجهوا شعلوة وقتلوها شحبار مستغربًا: "هل تظن أنهم بخير؟ وكيف استطاعوا قتلها؟" الشيخ أدهم: "سنعرف الآن" على الربوة، بدأ الثلاثي بالإضافة للشيخ صالح النزول باتجاه جيش المسلمين، يكبرون مع الجيش ويقفزون كأنهم أطفال ابتدائي وحان وقت حصة الرياضة التي تصادف الساعة الأخيرة بعد ساعتين من الرياضيات وساعتين من الفيزياء والعلوم. أمامهم كافور الذي سبقهم في النزول على الرغم من ثقل وزنه. ليجدوا شحبار ومعه شيخ قبيلته الشيخ أدهم باستقبالهم. يركض الثلاثي باتجاه شحبار ويبدأون في عناقه وتقبيله والسلام عليه والاطمئنان على صحته حوت يقبله ويهز كتفيه ويبتسم، ليتراجع مبتعدًا بسرعة كالذي تذكر شيئًا ليقول: ما الذي يحدث لي؟ كنت أكره زيارة قرية صيف بسبب التقبيل والأحضان، والآن أنا أصبحت مثلهم. إذاً هذا شعورهم نحوي، محبة نابعة من القلب. ليبدأ الجميع بالضحك ليكمل حوت كلامه: "كنت ظالمًا لهم لبساطتهم، كم كنت غبيًا وسطحيًا" ليقترب الشيخ أدهم ليقبل يد

الشيخ صالح قائلاً: أرجوك يا شيخنا شرفنا في ديارنا. ليستغرب الجميع من تصرفات الشيخ أدهم

حوت يتوجه بالسؤال إلى الشيخ أدهم: "كيف تعرف الشيخ صالح؟"

ليرد عليه الشيخ صالح: بأن الشيخ أدهم لم يغب يومًا عن دروسه التي يعطيها في مسجد القرية ومساجد الجوار، بل حتى كثير من الأحيان يكون في الصفوف الأمامية خلفي يصلي، حوت فاتحًا فمه واللعاب يتساقط من الجانب ليسأله: ولكن كيف ومتى عرفت بأنه من الجن؟ وهل يوجد غيره يفعلون ذلك وبأي شخصية يتشكل؟

ليقول الشيخ أدهم: حجب الله عنكم رؤيتنا، فنحن نراكم ولا تروننا على هيئتنا الحقيقية. ولكن أعطانا بعض الميزات، منها بأننا نستطيع التشكل بشكل حيوانات معينة أو حتى بشر. ولكن عندما نكون في حالة التشكل نكون أضعف ويمكن أن نتأذى بسهولة ويمكن قتلنا وأسرنا. لذلك يكون هناك مخاطرة أثناء تشكلنا، ولكنه ضروري في بعض الأحيان ليقطع شحبار الكلام قائلاً: أرجوكم لا تفتحوا له مجال للأسئلة، فهو لن يتوقف، فضوله لا يوجد له مثيل

ليضحك الشيخ صالح قائلاً: سنتفق على يوم تأتي فيه إلى بيتي ويكون الشيخ أدهم معنا ويمكنك أن تسأل ما تريد

حوت: أرجوك يا شيخ، أجبني عن بعض الأسئلة الآن، أخشى أن أنساهم أو قد لا أجد فرصة أخرى للقائك ليبدا حوت بطرح الأسئلة بحماس ناسياً ما مروا به قبل دقائق: هل يوجد سكان في السماء أو في غير كواكب؟ الشيخ أدهم يبدأ بالمغادرة بعد أن اطمئن على الجميع ليستمر في المشي مع ابتسامة

حوت: هل الجن يولد أم يبيض؟ طيب يا شيخ، هل يستعمل الجن التكنولوجيا؟ الشيخ أدهم يستمر في المشي، وحوت يمشي وراءه ويسأله، والباقي يقف ينظر ويضحك على حوت وفضوله ليكمل حوت أسئلته: بما أن الجن يعيش كثيراً، هل يوجد جن كان في زمن الصحابة أو التابعين وما زال على قيد الحياة؟ أرجوك أجبني عن واحد من الأسئلة فقط. هل تذهبون للحج؟ هل تعرفون علاجات لأمراض لا نعرفها؟ هل ساعدتم الفراعنة في بناء الأهرامات؟ هل مدينة أطلنتس

حقيقية؟ هل لديكم مدارس؟ هل صحيح بأن الجن هم من قتلوا الصحابي سعد بن عبادة رضي الله عنه؟

ليتوقف الشيخ أدهم ويتوجه بالحديث لحوت: دع عنك ما لا ينفعك ولا يضرك لا في أمور دنياك ولا دينك، واحمد الله على نعمة الإسلام ويا لها من نعمة، واعلم بأن لو اجتمع الإنس والجن على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك.

اذهب يا ولدي، لنا لقاء آخر إن كتب لنا العيش ليكمل الشيخ طريقه بعد هذه الكلمات حوت يتوقف عن ملاحقته ويشكره ويخبره بأنه سينتظر لقائهم الثاني بفارغ الصبر، عائدًا أدراجه حيث يجتمع الشيخ صالح ومعه صيف وكافور. شحبار يبتعد عنهم بعد أن قام بتوديعهم، ليتقدم من حوت لتوديعه بعناق آخر وبأنه يسره وشرف له أن يكون له أخ من الإنس بهذه الصفات الحسنى

ليمازحه حوت: إذاً لا مزيد من الظهور أمام بيتي وتخويفي؟

شحبار ضاحكًا: بعد كل الذي مررت به، أما زلت تعتقد هناك شيء سيخيفك؟

حوت ممازحًا: كلب أسود ناطق ينتظرني أمام مدخل مسكني، نعم سيخيفني، لا يمكنني أن أعتاد ذلك

شحبار وأنيابه ظاهرة مع ابتسامة كبيرة: اعتني بنفسك يا أخي

حوت: هل ستعود للسطح؟

شحبار: لا أعلم، هناك الكثير من الأشياء التي حدثت وتحتاج لأن أكون مع القبيلة في الوقت الحالي، كما أنني بحاجة لبعض العلاج أيضًا، ولكن من يدري كيف تجري الرياح

حوت: مرحب بك في السطح في أي وقت، ولك جزيل الشكر بتنويري وتثقيفي عن الجن وهذا العالم الغريب بهذه المدة القصيرة، التسكع معك لا يمل منه

شحبار: وأسئلتك لا تنتهي. يقترب حوت ويمد يده ليسحبه شحبار ويحضنه مودعًا إياه وطالبًا منه الانتباه على نفسه. ليبدأ بالمشي

بخطوات سريعة جعلته يختفي سريعًا من أمامهم حوت يقترب من الشيخ صالح ويسأله: ماذا الآن؟

الشيخ صالح: لا يمكن للمشعوذ أن يبقى هنا، ولكن لن أسمح له بالعيش في قريتنا إلا إن تاب وترك أعمال الشعوذة

كافور: على السطح يُسمى زعماء السحرة الأربعة بالأقطاب وهم أقوى فئة من المشعوذين، وقد وصلت لمرحلة أقوى منهم وسبقتهم بمراحل. ولكن بفضل الله ومعرفتكم أكرمني الله بالتوبة وعليّ أن أعوض عن أخطائي. لذا سأبقى هنا قليلاً حتى أدمّر وأفك جميع الأعمال المربوطة وكسر جميع الطلاسم وتقييد جميع الشياطين التي كنت أستعملها في الأذى وتحرير جميع خدمي المسخرين من الجن المسلم. لذا لن آتي معكم ولكن سألحق بكم سريعًا. وفي هذا الوقت، يكون الشيخ صالح قد جهز لي مسكنًا في قريته وأمن لي عمل

حوت وصيف متفهمين موقف كافور، ليقتربوا ويقوموا بتوديعه ليكملوا المسير مع الشيخ صالح باتجاه المدخل الأول حيث وجد نفسه حوت عند أول دخوله للمدينة. حوت يسأل الشيخ صالح مستفسرًا كيف

دخل إلى هنا لوحده، ليخبره بأنه يوجد بوابات كثيرة إلى هذا العالم الجوف أرضي وإحدى هذه البوابات في منطقتنا قرب البرج الروماني.

حوت يفكر بصمت بأن كل هذا الوقت يوجد بوابة لتحت الأرض في منطقتهم مثل التي أخبره عنها كافور وليس لديه علم بها

ليسأل حوت مجددًا: هل يمكن لأي شخص الدخول والخروج منها؟

الشيخ صالح: بعضها يحرسها جن مثل البوابة التي في منطقتنا، وتحتاج أن تقول كلمات معينة حتى تستطيع الدخول أو ترافق شخص يعرف تلك الكلمات. وبعض البوابات يحرسها حيوانات، وبعضها عليها أفخاخ قاتلة

حوت: ما هي تلك الكلمات؟

ليرمقه الشيخ صالح بنظرة غضب: ألا تنتهي أسئلتك؟

حوت: جاوبني على سؤال واحد فقط ولك كلمتي لن أفتح فمي حتى عودتنا

صيف ضاحكًا: صفقة جيدة يا شيخ

الشيخ صالح بضجر: أطربنا بسؤالك

حوت: هل تعتقد سيأتي يوم وتنفتح تلك البوابات للجميع، ويبدأ العالم على السطح باكتشاف هذا المكان الذي نحن فيه؟ وما موقف الدين في هذا الأمر؟ لماذا لم يتكلم عنه؟ ولماذا حيواناته وسكانه مختلفة وبهذا الغموض؟ شيء لا يصدقه العقل، لم أستوعب بعد كيفية وجود هكذا عوالم خفية ولا نعلم عنها شيئًا

الشيخ صالح: كل هذه الأسئلة وتقول لي سؤال واحد! حسنا، قبل أن أجاوبك، أخبرني هل تم اكتشاف داخل المحيطات بالكامل؟

حوت: لا بل يقال مجرد خمسة في المائة فقط من أعماق البحار مكتشفة، وما زالت كثير من كائناته وطبيعته غير مكتشفة

الشيخ صالح: ماذا تعرف عن غابات الأمازون؟

حوت: أكبر غابة في العالم، أخذنا في الجغرافيا أنها رئة العالم وقد قرأت بأنه حتى يومنا هذا ما زال يكتشف أنواع أعشاب جديدة وحيوانات جديدة، بل هناك قبائل من السكان الأصليين يعيشون داخلها لا يعرفون ماذا يوجد خارج الغابة

الشيخ صالح: إذاً أمام أعينكم وتحت أقماركم الصناعية ورغم غواصاتكم وسفنكم ومعداتكم المتطورة، لم تكتشفوا ماذا يوجد داخل غابة ولا حتى في أعماق ربع المحيطات، وتتساءل عن هذا العالم المخفي، وعن غرابة كائناته وغموضه؟ الأولى أن تكتشفوا ما فوق السطح أولًا

حوت والحيرة ظاهرة عليه: سيأتي اليوم الذي يعلن فيه أحد الأشخاص سعداء الحظ عن اكتشاف هذا العالم النابض بالحياة تحت الأرض، وسيكتب اسمه في التاريخ مثل كريستوف كولمبوس واكتشافه لأمريكا ليقاطعه الشيخ صالح قائلاً: لا تكن كالقطيع تصدق كل ما يملى عليك هل حقًا تعتقد كريستوف هو من اكتشف أمريكا؟ ألم تقرأ عن أسماء الهنود الحمر الذين قابلهم كريستوف وعاداتهم المشابهة لسكان أفريقيا بصهر الذهب وإدخال بعض المعادن إليه؟ المسلمين اكتشفوا أمريكا قبل كولمبوس بحوالي ثلاثة قرون، ويقال خمسة

حوت بوجه غير مقتنع: يا شيخ، مجرد كلام منابر غير حقيقي لتذكير المسلمين بأن تاريخهم كان حافلًا ومزدهرًا عكس اليوم ليكمل الشيخ

صالح كلامه مقاطعًا حوت قائلاً: ألم تتساءل يومًا لماذا جزر المالديف ديانتها إسلامية وأغلب سكانها مسلمون على الرغم من بعدها نظريًا عن دول العالم الإسلامي؟

حوت بصمت..

الشيخ صالح: حسناً، دعني أخبرك. يعود الفضل في إسلام شعبها للداعية أبو بركات البربري، كان مستكشفًا مسلمًا وذهب في إحدى رحلاته إلى جزر المالديف وهناك وجد قومًا مرهونين لعادات مرهقة أثقلت حياتهم، مثل تقديم فتاة عذراء لتكون قربانًا لما كانوا يسمونه "شيطان البحر" وهو في الغالب عفريت من الجن الغواص، وكانت القبائل المالديفية تقترع لاختيار فتاة كل شهر ومنهم من يقول كل كم شهر لتكون ضحية بشرية لكفّ غضب وشرور جن البحر راناماري حسب لغتهم المحلية وهذا ليس كلامي، بل كلام بعض من سكانها، فهذه القصة متوارثة عندهم

حوت مقاطعًا الشيخ صالح ليقول: أساطير يا شيخ، أساطير وخرافات عفى عنها الزمن. ربما جزء منها حقيقي وزادوا عليها بعض الخرافات

ليكمل الشيخ صالح كلامه قائلاً: بعد كل الذي رأيته هنا ما زلت تشكك؟ انتظر حتى أخبرك ماذا قال عنها الرحالة ابن بطوطة أثناء رحلته لتلك الجزر، والتي لبث فيها ما يزيد عن العام والنصف ووصل لمكانة مرموقة في تلك الجزر. فهو يخبرنا خلال رحلته إلى الجزر في القرن الرابع عشر كثيرًا عن أحوال سكانها وعاداتهم، وحكى قصة إسلامهم قائلاً: ثم إنه قدم عليهم مغربي يسمى بأبي البركات البربري، وكان حافظًا للقرآن العظيم، فنزل بدار امرأة عجوز منهم تعيش مع ابنتها، فدخل عليها يوما وقد جمعت أهلها وهن يبكين كأنهن في مأتم، فاستفهمهنّ عن شأنهن، فلم يفهمْنَ، فأُتِيَ بترجمان فأخبره أن قرعة الشهر وقعت على منزلها، وليس لها إلا بنت واحدة لتكون قربانًا للعفريت، فقال لها أبو البركات: أنا أتوجه عوضًا عن بنتك بالليل، وكان أمرد الوجه، وبالفعل قاموا بالتحضيرات والطقوس تلك الليلة ودخل إلى بيت الأصنام القريب من الشاطئ وهو متوضئ وفي الصباح التالي عندما جاء السكان وجدوا أبا البركات بخير يتلو القرآن، ويكمل ابن بطوطة روايته قائلاً: فمضوا به إلى مَلِكِهم، وكان يسمى شنورازة،

وأعلموه بخبره، فعجب منه، وعرض عليه البربري الإسلام ورغّبه فيه وأقنعه بأن خلاصهم فيه، فقال له الملك: أقم عندنا إلى الشهر الآخر، فإن فعلت كذلك ونجوت من العفريت أسلمتُ ويكمل ابن بطوطة ما جرى في الشهر التالي إذ أسلم الملك وكسروا الأصنام، وهدموا بيتها. وأسلم أهلُ الجزيرة، وبعثوا إلى سائر الجزر، فأسلم أهلها، وأقام المغربي عندهم معظّما وتمذهبوا بمذهبه، مذهب الإمام مالك رحمه الله، وهم إلى هذا العهد الكثير منهم يعظم المغاربة بسببه. ويقول ابن بطوطة عن المسجد الواقع في العاصمة ماليه قائلاً: وقرأتُ على مقصورة الجامع منقوشًا في الخشب: أسلم السلطان أحمد شنورازة على يد أبي البركات البربري المغربي، وجعل السلطان ثلثَ مجابي الجزر صدقة على أبناء السبيل، إذ كان إسلامه بسببهم كان التجار العرب سببًا كذلك لتحول سكان ساحل مالابار للإسلام منذ القرن السابع الميلادي، وأصبحت بلاد السند والبنجاب مسلمتين منذ وصلتهما جيوش الفتح بقيادة محمد بن قاسم الثقفي في المدة الزمنية نفسها تقريبًا، بينما ظلت جزر المالديف مملكة بوذية لمدة خمسمئة عام حتى اعتناق الإسلام كما أخبرتك سابقًا.

وهذه الرحلات حدثت قبل اكتشاف أميركا المزعوم من قبل كولمبوس. بل حتى ماجلان عندما وصل إلى إحدى الجزر الفيلبينية وحاول السيطرة عليها واستباح نساءها، وجد مقاومة عنيفة من السكان المحليين بقيادة الأمير الشاب المسلم لابو لابو. وقد تمكن الأمير من قتله بسهم مسموم ليهرب أصدقاء ماجلان تاركين جثته خلفهم

حوت: أعلم هذه القصة، لكن ما سبب سردها لي؟

الشيخ صالح: تذكير لك وإيضاح مدى المعلومات المغلوطة التي زُرعت ودُسّت وشوهت تاريخنا الحقيقي. عليك أن تعلم بأن الإسلام انتشر في بقاع الأرض والمشرق والمغرب قبل سنوات بل قرون من اكتشاف أمريكا. لذا هل كان من الصعب علينا كمسلمين استكشاف أراضي الهنود الحمر؟ وللعلم بأن أسس وقواعد خرائط كولومبوس وماجلان مأخوذة من علماء وكشافة ورحالة مسلمين كانوا قد رسموها قبلهم بسنوات. هناك الكثير من العلوم المخفية عن عامة البشرية وممنوع تداولها. وعندما أطلب منك أن لا تكثر من أسئلتك، ليس كرهًا للعلم أو

لأمور شخصية ولكن خوفًا عليك. لأن المعرفة لا يمكن إشباعها، كلما فتحت بابًا فتح بسببه أبواب. عليك أن تعلم متى قررت الخوض في هذه العلوم، حياتك لن تعد كما قبل وستتغير نظرتك لكل شيء. عليك أن تتهيأ وتكون جاهزًا جسديًا ونفسيًا قبل الخوض في هذه العلوم المخفية. وما عرفته وتعلمته خلال وجودك هنا يكفيك في الوقت الحاضر، وعندما تريد ستعرف المزيد

حوت بصمت

صيف: لماذا صمتت؟ هل أنت بخير؟

حوت: صمتي موافقة على ما قاله مولانا. لوهلة كنت سأفقد عقلي في أول دخولي لهذا العالم وحتى الآن ما زلت أحاول استيعاب الذي حصل معنا وما مررنا به. لذلك يجب أن أستعد قبل المعرفة، وينتظرني لقاء مع الشيخ أدهم في منزل مولانا قريبًا ليجيبوا عن عدد من أسئلتي

يقترب الثلاثة من المدخل الصخري وعليه نقوش لأكثر من لغة، ليتكلم الشيخ صالح بقول: "السلام عليكم" ليتشكل أمامهم من العدم رجل من الجن عجوز يرتدي جلبابًا بشعر طويل ولحية كثيفة. لولا حضوره

المفاجئ لظنوا أنه من الإنس، ليقول لهم: لولا سلامكم سبق كلامكم لقتلتكم وأخفيت عظامكم

حوت: إذاً لهذا السبب طلب مني شحبار إغماض عيني عند الدخول إلى هنا

الشيخ صالح: نريد الخروج

الجني العجوز: قل ما عندك

ليقترب الشيخ صالح من الجني هامسًا له بعض الكلمات الغير مفهومة، ليبتعد فاتحًا خلفه باب صخري كبير مضاء داخله ببعض الأحجار اللامعة التي تشبه تلك الموجودة في سقف المدينة، وأضواء كالستارة تخرج من الباب بشكل مموج شبيه بأضواء الشفق في المناطق القطبية. ليتقدم الشيخ صالح وخلفه حوت وصيف. وكلما دخلوا زاد الضوء. ليغمض عينيه حوت، وما هي إلا ثوانٍ حتى يجد نفسه مرميًا على العشب أمام البرج الروماني. وعلى مقربة منه صيف والشيخ صالح يقف خلفهم قائلاً: "الحمد لله على السلامة يا أولادي" حوت

يقبل الأرض ويفرك وجهه بالعشب: ياااه، كم اشتقت لهذا الملمس ولهذه الرائحة ولهذه النسمات. كم نعيش في نعيم لم نكن نقدره صيف والدموع تنهمر على خديه قائلاً: شكراً لك يا حوت، لولاك لهلكت، دينك لا يمكن سداده حوت يرد بأن الفضل لله وحده ولم يفعل إلا الواجب، ليعود بالشكر للشيخ أيضًا

صيف متسائلاً: هل هذا وقت الفجر أم المغرب؟

الشيخ صالح: إنه الشروق، لقد ذهبت علينا الصلاة. لنعد إلى منازلنا، أحبابنا ينتظرونا على أحر من جمر. ولا داعي لتذكيركم، كل ما حصل يبقى بيننا ولا يجب أن يعلم أحد حتى أقرب الناس إلينا عن عالم الجوف الأرضي ومخلوقاته وصراعنا مع الجن. وكما اتفقنا، وجدنا صيف واقعًا في إحدى الشقوق الصخرية القريبة ولا يتذكر كيف وصل لهذا الشق وكيف وقع، وربما تلقى ضربة على رأسه أنسته سبب وقوعه وما كان يفعل تلك الليلة عندما وقع، ليذهب الشيخ صالح إلى قريته مع صيف، مودعين حوت بحرارة وشاكرين إياه. ليرد بأنه سوف يراهم في الجوار ولهم لقاءات طويلة قادمة إن شاء الله ليكمل حوت المسير وحده.

الطقس صافي مع نسمات منعشة يقشعر لها الأبدان تهب بين الحين والآخر. بعد دقائق من المسير يصل حوت إلى مبنى بيته، والشمس قد أشرقت بالكامل والصبح تنفس. ليدخل حوت مباشرة إلى الحمام قبل أن يتفقد هاتفه حتى، يستحم بمياه ساخنة ما يفوق النصف ساعة. وضع مطهر على جرح إصبعه ولفه بضمادة نظيفة. فتح براده ولم يجد ما يؤكل سوى نصف لوح سكاكر مفتوح. فهو عادة ما يأكل وجبات سريعة وترسل له أمه بين الحين والآخر بعض الألبان والأجبان التي تبيع منها في دكانتها، فتح هاتفه ليجد 30 مكالمة فائتة على تطبيق الواتساب وما يفوق 1020 رسالة. ربعها دردشات على جروب كرة القدم واستغرابهم عن عدم التحضير لمباراة الخميس وسؤالهم عن حوت كالمعتاد، فهو معروف بحبه لكرة القدم ويمارسها مع بعض من إخوته وأقاربه بشكل أسبوعي دون انقطاع حتى لو كانت هناك عواصف، رياح، مطر، حر، أعياد، أفراح، أحزان، لا يتخلفون عن وقت المباراة، وهو قائد الفريق لذا غيابه شكل صدمة للفريق لأول مرة.

حتى عندما كان يعتكف في المسجد أو يغيب عنهم كان يحضر الخميس

على الموعد ولم يكن يتخلف عن اللعب، أكمل حوت قراءة الدردشات الأخرى والرسائل ليقرأ أخبار متنوعة من بعض جروبات المزادات والأنتيكا وبعض الرسائل الغير مهمة، وبعض الرسائل من جروب أخبار برشلونة والليغا الإسبانية وبعض الرسائل من بعض الأقارب. أنهى حوت قراءة جميع الرسائل ليطفئ الهاتف مجددًا ويرتدي لباسًا مريحًا خارجًا من منزله متوجهًا إلى والدته ليجدها كالعادة تصف المعروضات على الرفوف وفنجان القهوة على الطاولة وبجانبه الترمس، وهو إبريق يغلق بإحكام ليحافظ على حرارة المشروب داخله، نزل من السيارة ليجدها قادمة باتجاهه لتحضنه وتبدأ بالاطمئنان عليه وتخبره كم اشتاقت إليه. حوت يبتسم ويبادلها الكلام ويخبرها بأنه شعر بالتوعك قليلاً أثناء اعتكافه، لكنه بخير حال الآن ويحتاج فقط لقليل من النوم. لكنه أراد أن يراها وأن يخبرها بأنهم وجدوا قريبه صيف وبأنه بخير وعاد لمنزله وسبب اختفائه كان وقوعه في إحدى الشقوق وفقده للوعي، لكنه استيقظ وهو على ما يرام. وطلب حوت من أمه أن تبلغ والده تحياته وبأنه سيمر عليه في المساء لتقاطعه أمه بأنه دقائق قليلة

وينزل من البيت ويجلس في الدكان معها، وعليه انتظاره. ليعتذر منها حوت ويخبرها بأنه يحتاج للنوم وطلب منها أيضًا أن تخبر والده بأنه تم العثور على صيف مثلما أخبرها. ليغادر حوت بعد أن سكبت له أمه فنجان كرتوني من القهوة الساخنة. ليعود إلى منزله ويغط في النوم العميق ليرى في منامه شخص يشبه كافور ونفس ملامحه في سجن قديم بارد مظلم وبعض الهياكل العظمية داخل الزنزانة بجانب كافور. ليستيقظ سريعًا حوت من المنام على طرقات باب منزله بقوة، يقوم مسرعًا حوت ليفتح الباب ولا يجد أحد. ينظر للأرض ليجد ورقة مطوية تشبه ورق البردى. يقوم بفتحها ليجد بخط جميل مكتوب بعض الأحرف المتقطعة وشعرة سوداء طويلة جدًا طُويت مع الورقة، على الأرجح سقطت من المرسال الذي أتى بالورقة. يبدأ حوت بقراءة الأحرف المكتوبة بهذه الطريقة: ب ع د . خ ر و ج ك م .ب س ا ع ا ت.ا ت ى .ج ن و د .م ن .ا ل ر م ا د ي و ن .و أ ل ق و ا .ا ل ق ب ض.ع ل ى .ك ا ف و ر. ليخبط حوت يده على جبينه ويبدأ قلبه بالخفقان، مفكرًا بينه وبين نفسه: ألا يمكن الانتهاء من هذا الكابوس المزعج؟

فلقد عرف من الرسالة بأن كافور محبوس عند الرماديين، وعلى ما يبدو إحدى خادماته من الجن قد أرسلت الرسالة لحوت دون علم كافور ليساعده ويقوم بإخراجه، حوت ينام على ظهره، رافعًا نظره لسقف الممر قرب باب بيته من الداخل وآثار التفكير ظاهرة عليه. ليقف بسرعة فجأة ويذهب إلى غرفة أخرى، ويقوم بتشغيل هاتفه مجددًا ويقوم بالاتصال على صيف. وما إن فتح صيف السماعة حتى يخبره حوت قائلاً: لقد أخذ الرماديون كافور، أترك كل شيء واذهب للشيخ صالح وقل له: على ما يبدو سنعود إلى الأرض الجوفية، هناك شخص آخر يحتاج مساعدتنا على العاجل... فالمهمة لم تنته بعد